التقسيم الثلاثي لعلوم البلاغة العربية
بين الموروث البلاغي ومحاولات التجديد

الدكتور

محمد عبد الفتاح إبراهيم النجار

مدرس البلاغة والنقد في كلية اللغة العربية

بإيتاي البارود جامعة الأزهر

Dr.mohammed.elnggar@gmail.com

١٤٤٠هـ-٢٠١٨م

ملخص البحث

لقد تعرَّضت لغتنا العربية الحبيبة في العصر الحديث لعديد من محاولات التجديد والتطوير، كان بعضها بحقٍ تجديدًا وتطويرًا وسعيًا للنهوض والارتقاء، لكن أغلبها كان- عن عمد وقصد، أو عن جهل وطيش- تبديدًا لتراثنا، وتضييعا لهويتنا، وتشويها لعلومنا ، بدعوى الإصلاح والتجديد والتثقيف والتهذيب، وكانت البلاغة -خاصة- من بين علوم العربية مقصدًا وهدفًا لكثير من الانتقادات؛ فوُصفت دراستها بالجفاف والجمود ، ورُميت مناهجها بالتعقيد والغموض؛ فتعالت الصيحات في العصر الحديث بضرورة القضاء على المنهج الذي يسود تعليم البلاغة القائم على التقسيم الثلاثي لعلومها: المعاني والبيان والبديع ، واستبداله بمناهج جديدة تتواكب مع الحياة المتجددة ، وتساير النهضة الحديثة.

وقد كشفتُ في هذا البحث عن أهم المحاولات التي سعت نحو تجديد البلاغة العربية وتطويرها ، تتبعت خطواتها ، وتفحصت مضامينها ، وتعرضت لها بالتحليل والنقد الموضوعي ، مبرزا ايجابياتها قبل سلبياتها ؛ رغبة في الإسهام في نهضة بلاغية مأمولة ، والوصول لخطة متكاملة ومنهج متطور يعيد لبلاغتنا الحبيبة جدتها ومكانتها ، ويبرز حُسنها ورونقها ، ويسعد دارسيها ومحبيها ، شريطة أن يكون ذلك المنهج نابعا من تراثنا ، ومنبثقا من هويتنا الإسلامية والعربية.

Research Summary

We have experienced the Arabic language beloved in the modern era of several attempts to innovate and development, some of them were right to renewal and development and the pursuit of advancement and upgrading, but most were - intentionally and intent, or the ignorance and recklessness - waste of our heritage, and the loss of our identity and distorting our science, claiming reform and innovation and education and refinement , And rhetoric - especially - among the science of Arabic destination and the goal of many criticisms; described the study of drought and stagnation, and gave the methods of complexity and ambiguity; there were cries in modern times the need to eliminate the curriculum that prevails the teaching of rhetoric based on the tripartite division of its sciences: And to replace it with new approaches that coincide with the new life and the pace of modern Renaissance.

In this research, she revealed the most important attempts that have emptied her efforts towards this renewal, followed her steps, examined their contents and subjected them to analysis and objective criticism, highlighting their positive aspects before their negatives; wishing to contribute to the desired rhetorical renaissance; And its status, and highlights its good and glamor, and pleased Darciah and lovers, provided that the curriculum stems from our heritage, and stems from our Islamic and Arab identity.

المقدمة

" رب يسر وأعن يا كريم"[1]

الحمد لله الذي اصطفى اللغة العربية من بين سائر اللغات وجعلها وعاءً لكتابه الكريم ، فرفع شأنها ، وخلَّد ذكرها ، وحباها القوة والقدرة على مدافعة أعدائها مهما عَظُم مكرهم ، وتفاقم حقدهم ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد ، سيد الفصحاء ، وإمام البلغاء ، صلاة تكون لنا نورًا من كل ظلمة وهداية إلى طريق الحق والرشاد... وبعد.

يعد علم البلاغة العربيَّة من أرفع العلوم قَدْرًا ، وأعظمها نفعًا ؛ وأدقها سرًا ؛ إذ به تُعرَف دقائق العربية وأسرارها ، وتكشف عن وجوه إعجاز القرآن أستارها ، وهو علم يثقف الذوق ، ويكسبه الرقَّة والدقَّة ، ويرشد طلابه وراغبيه إلى طرائق حسن البيان، ويمنحهم البصيرة النافذة والمقدرة على نقد الكلام وتمييز جيده من رديئه.

كما أن معرفة علوم البلاغة العربية شرط أساسي لكل من أراد اكتساب علوم الشرع ولا سيما علوم القرآن الكريم ، وقد قال في بيان ذلك أبو هلال العسكري: " اعلم أن أحق العلوم بالتعلم ، وأولاها بالتحفظ – بعد المعرفة بالله جل ثناؤه – علم البلاغة، ومعرفة الفصاحة، الذي به يعرف إعجاز كتاب الله تعالى ، الناطق بالحق، الهادي إلى سبيل الرشد"[2] وقال الزمخشري– في ثنايا حديثه عن معرفة النحوي واللغوي والفقيه بمعاني القرآن الكريم– : "لا يتصدى منهم أحد لسلوك تلك الطرائق، ولا يغوص على شيء من تلك الحقائق إلا رجل قد برع في علمين مختصين بالقرآن، وهما علم

(١) دعاء افتتح به الإمام ابن قيم الجوزية (٦٩١هـ – ٧٥١هـ) كتابه (زاد المعاد فى هدى خير العباد)١٥/١ راجعه: طه عبد الرؤوف، مطبعة مصطفى الحلبى ١٣٩٠هـ ١٩٧٠م.

(٢) كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري: ٢ ت: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم– المكتبة العصرية بيروت: ١٤٠٦هـ– ١٩٨٦م.

المعاني وعلم البيان ، وتمهل في ارتيادهما آونة ، وتعب في التنقير عنها أزمنة ، وبعثته على تتبع مظانهما همة في معرفة لطائف حجة الله وحرص على استيضاح معجزة رسول الله "[1].

وإذا تبوأت البلاغة العربية تلك المنزلة الرفيعة دينيًا وفنيًا وعلميًا، ونالت ذلك الشرف العظيم؛ فإنه يجب علينا الحفاظ عليها ، وإحلالها المحل اللائق بها بين العلوم والفنون ، وصيانة تراثها ، والعمل على تداوله وتطويره، والسعي الدؤوب نحو رقيه وازدهاره.

ولقد تعرَّضت لغتنا العربية الحبيبة في العصر الحديث لعديد من محاولات التجديد والتطوير، كان بعضها بحقٍ تجديدًا وتطويرًا وسعيًا للنهوض والارتقاء ، لكن أغلبها كان– عن عمد وقصد ، أو عن جهل وطيش– تبديدًا لتراثنا ، وتضييعا لهويتنا ، وتشويها لعلومنا ، بدعوى الإصلاح والتجديد والتثقيف والتهذيب، وكانت البلاغة –خاصة– من بين علوم العربية مقصدًا وهدفًا لكثير من الانتقادات؛ فوُصفت دراستها بالجفاف والجمود ، ورُميت مناهجها بالتعقيد والغموض؛ فتعالت الصيحات في العصر الحديث بضرورة القضاء على المنهج الذي يسود تعليم البلاغة القائم على التقسيم الثلاثي لعلومها: المعاني والبيان والبديع، واستبداله بمناهج جديدة تتواكب مع الحياة المتجددة، وتساير النهضة الحديثة؛ من أجل ذلك عقدت العزم على جَمْعِ أصول هذه المحاولات التي سعت نحو تجديد البلاغة العربية وتطويرها، تتبعتُ خطواتها ، وتفحصتُ مضامينها ، وتعرضتُ لها بالتحليل والنقد الموضوعي.

---

(١) – الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل : الزمخشري : ٤٣/١ والتفسير بحاشيتة : الانتصاف فيما تضمنه الكشاف لابن المنير الإسكندري ، وخرج الأحاديث الواردة فيه :الإمام الزيلعى – دار الكتاب العربي – بيروت – الطبعة: الثالثة – ١٤٠٧ هـ .

وقد اقتضت طبيعة البحث أن يكون في مبحثين:

المبحث الأول: (بين يدي التقسيم الثلاثي لعلوم البلاغة العربية):

تحدثت فيه بإيجاز شديد عن مسيرة البلاغة العربية حتى مرحلة الاستقلال والاستقرار على يد الإمام السكاكي(ت ٦٢٦هـ)، ثم عرضت لأهم الانتقادات التي أثيرت في العصر الحديث تجاه هذه المرحلة ، ووُجهت لمنهجها القائم على التقسيم الثلاثي لعلومها: المعاني والبيان والبديع ، ناقشت هذه الانتقادات بموضوعية تامة ونظرة شمولية ، بعيدًا عن التأثر بثقافة خاصة أو التحيز لفئة معينة ؛ حتى تكون المناقشة بناءة وهادفة.

المبحث الثاني: (محاولات التجديد: عرض، وتحليل، ونقد)

عرضت فيه أصول محاولات التجديد في العصر الحديث ، التي سعت للقضاء على دراسة البلاغة العربية من خلال التقسيم الثلاثي لعلومها، وقدَمَتْ مناهج بديلة ، كمحاولة الشيخ أمين الخولي، والأستاذ أحمد الشايب، والدكتور أحمد مصطفى المراغي والدكتور أحمد مطلوب وغيرهم... قرأت هذه المحاولات قراءة متأنية ، وتعرضت لها بالتحليل والنقد الموضوعي، مبرزًا إيجابياتها قبل سلبياتها؛ رغبة في الإسهام في نهضة بلاغية مأمولة، والوصول لخطة متكاملة ومنهج متطور يعيد لبلاغتنا الحبيبة جدتها ومكانتها، ويبرز حُسنها ورونقها، ويسعد دارسيها ومحبيها ، شريطة أن يكون ذلك المنهج نابعا من تراثنا ، ومنبثقا من هويتنا الإسلامية والعربية.

ثم ختمت بحثي بخاتمة رَصدتُ فيها أهم ما توصلت إليه من نتائج وما اقترحته من توصيات في شأن هذا الموضوع الذي سيبقى البحث فيه مستمرًا حتى تخرج البلاغة العربية التعليمية من هذا المأزق ، وتتخذ طريقا سويًا تنطلق منه إلى أفق العصر وسعته.

وبعد... فلا أزعم أنني جئت بالطريف المبتكر ولا بلغت الكمال ، بل هو جهد المقل ، وخطوة على الطريق، فإن أصاب هذا البحث مرماه فذلك ما سعيت إليه جاهدًا ، وإن أخطأ هدفه فهو رأي الضعيف العاجز ، يُعرَضُ له

التقويم ، وينالـه الإصـلاح والتهـذيب ؛ لأن العلـم لا يقـف عنـد تصـور باحـث مهما أوتـي علمًا وفهمًا ، ولا يحده عصر من العصور ، وما توفيقي إلا بـالله عليـه توكلـت وإليـه أنيـب ، وصـلى الله علـى سيدنا محمد وعلـى آلـه وصـحبه وسلم.

الدكتور
محمد عبد الفتاح إبراهيم النجار
مدرس البلاغة والنقد في كلية اللغة العربية بإيتاي البارود جامعة الأزهر

المبحث الأول

بين يدي التقسيم الثلاثي

إن المتتبع لتاريخ البلاغة العربية ومسيرتها عبر العصور يدرك أنها مرت بمراحل متعددة وأطوار متعاقبة حتى وصلت إلى مرحلة الاستقلال والاستقرار على يد السكاكي (ت ٦٢٦هـ) ومن سلك نهجه ، وقد استهلت البلاغة العربية مسيرتها وشقت طريقها قبل أن تشرق شمس الإسلام على صورة أحكام ذوقية فطرية مبنية على الاستحسان أو الاستهجان دون وقوف عند الظواهر لإعطاء التعليل ، ولا إيغال في التفصيل ، ثم درجت البلاغة ونمت في القرون الأولى من الهجرة متداخلة مع العلوم الإسلامية والعربية بدءًا من أبي عبيدة معمر بن المثنى (ت٢١٠هـ) مروراً بالجاحظ (ت٢٥٥هـ) وابن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ) والمبرد (ت ٢٨٥هـ) وعبد الله بن المعتز(ت ٢٩٦هـ) وقدامة بن جعفر (ت ٣٣٧هـ) وأبي هلال العسكري (ت ٣٩٥هـ) وغيرهم من أعلام العربية... حتى وصلت البلاغة إلى أعلى مراحل الرقي والازدهار في القرن الخامس الهجري على يد الإمام عبد القاهر الجرجاني(ت٤٧١هـ).

ثم استقرت البلاغة العربية في بداية القرن السابع الهجري على يد أبي يعقوب السكاكي (ت ٦٢٦هـ) في كتابه مفتاح العلوم ، فحد رسومها ، وضبط علومها ، وصنف أبوابها وفنونها ، وجعلها علمين أساسين: المعاني ، والبيان، وألحق بهما المحسنات البديعية ، ثم أكمل بدر الدين بن مالك (ت ٦٨٦هـ) ما بدأه السكاكي وأطلق على المحسنات اسم البديع ، وجعله علما ثالثًا، ثم قام الخطيب القزويني (ت ٧٣٩هـ) بتقسيم البديع إلى لفظي ومعنوي في تلخيصه للمفتاح لتستقر البلاغة على هذا النحو ، وقد استحق كتاب تلخيص المفتاح للقزويني أن يكون الأفضل والأجود والأشهر بين الشروح والتلخيصات؛ لأنه لم يكن مجرد تلخيص فحسب ، بل أعادَ فيه الخطيب تنسيق أبواب المفتاح وضبطَ فصوله، وجَعَلَه أيسر تناولًا وأقرب منالًا ، وأضاف إليه فصولاً أخرى

رآها ضرورية لعلم البلاغة ، كما ناقش الخطيبُ السكاكيَّ مناقشة جادة في كثير من التعريفات والتقسيمات والقضايا التى أثارها في مفتاحه مستعينا في ذلك بثقافته الخاصة وألمعية أفكار الإمام عبدالقاهر والزمخشري وذوقهما الفني المثقف.

وقد نال تلخيص المفتاح للخطيب القزويني شهرة واسعة لم يعرفها كتاب في بابه، حتى أصبح أهم مراحل الاستقرار للبلاغة العربية، وصار دستورًا للبلاغيين، فقد تواتروا عليه بالشرح والتحشية والتقرير والتعليق، لا يكادون يخرجون عنه إلا ما ندر.

واستمر الدرس البلاغي على هذه الحال حتى جاء العصر الحديث ليشهد ثورة كبيرة على مدرسة السكاكي والخطيب وطريقة تناولهما لعلوم البلاغة ، فقد رأى كثير من النقاد والبلاغيين أن دراسة البلاغة من خلال التقسيم الثلاثي لعلومها إنما هو وأد للفكر البلاغي الأصيل القائم على الذوق الأدبي الرائق، والمستند إلى التحليل الخلَّاق الذي قدمه الإمام عبد القاهر الجرجاني، ورأى بعضهم ضرورة تحديث الدرس البلاغي من خلال المستجدات الحديثة كنظريات التواصل ، ومعطيات التداولية ، ومدارس التحليل اللغوي ، وكشوفات السيميائية وغير ذلك...، وليس أدل على ذلك الرفض للتقسيم الثلاثي لعلوم البلاغة من قول الدكتور أحمد مصطفى المراغي: " لا أرى للقسمة الثلاثية وجهًا صحيحا ولا مستندًا من رواية أو دراية "[1].

وقال الدكتور بدوي طبانة في هذا الصدد: " الواقع أنه لم يفسد البلاغة العربية أو البيان العربي مثل تمحيص السكاكي وتهذيبه ، وترتيبه الذي مجده به ابن خلدون... ولسنا نعرف السحر العجيب الذي سحر العلماء بكتاب

(١) تاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها: د/أحمد مصطفى المراغى: ١١١ – مطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٣٦٩ هـ – ١٩٥٠م.

السكاكي، فجعلهم ينسون أنفسهم، وينكرون ملكاتهم؛ ليسيروا في ركاب السكاكي وفي فلك كتابه ، فجعلوه القطب الذي يدورون من حوله، والغاية التي يبمونها"(١).

وأضاف الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي وقال " إن السكاكي قد أمعن في الغوص بقواعد البلاغة إلى أعمق بحار العلوم العقلية من منطق وفلسفة ، وجرى في ذلك إلى غاية بعيدة المدى ، مترامية الأطراف ، كانت أولى الخطوات الواسعة بعد قدامة بن جعفر في النزول بالبلاغة إلى هذا الدرك الذي ترى عليه البلاغة الآن"(٢).

وقد عدد الشيخ أمين الخولي أسماء علماء البلاغة الذين هم من أصول غير عربية وقال فيهم :" إن كثرتهم من غير العرب، وكل أولئك الذين مرت بك أسماؤهم آنفا، لا حظ لهم من عروبة ، وإذا كانت عجمة مع فلسفة فقد كمل البعد عن مجال الفن وروحه بقدر البعد عن حس العربية وتمثل روحها ، وإدراك مجال الجمال فيها... ويجب أن نؤيد المدرسة الفنية ، ونؤثل تلك الأبحاث الجديدة التي أشرت إليها من قبل ، ونهجر المدرسة العلمية في دراسة البلاغة"(٣).

وقال الدكتور شوقي ضيف:" إن السكاكي قد جمع في بعض أبوابه دررًا وحصى كثيرا، أما الدرر فجمعها من كتابات عبد القاهر والزمخشري ، وأما الحصى فجمعه من كتب النحو واللغة... والمفتاح تلخيص أشاع فيه كثيرا من العسر والالتواء، بسبب ما عمد إليه من وضع الحدود والأقسام المتشعبة ،

(١) البيان العربي: د/ بدوي طبانة:٢٠٠- مكتبة الأنجلو المصرية- الطبعة الثانية ١٩٨٥م.

(٢) ينظر: مقدمة تحقيق الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي لكتاب الإيضاح للخطيب القزويني:١٩٢/٦- دار الجيل ، بيروت ، ١٩٩٣م.

(٣) مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب: أمين الخولي : ١٧٥ دار المعرفة ، الطبعة الاولى ١٩٦١م.

فإذا المباحث البلاغية تشبه غابة بل دغلا ملتفا لا يمكن سلوكه إلا بمصابيح من المنطق ومباحث المتكلمين والفلاسفة، وهي مصابيح ما تني توسل إشعاعات تخنق خلايا النضرة في الدغل الكثيف، وكثيرا ما تتراكم هذه الإشعاعات تراكما يحجب عنا تلك الخلايا الحية التي كنت نتمتع برؤيتها عند عبد القاهر والزمخشري، وإن لم يحجبها أفسد أنسجتها إفسادا بما أدخل عليها من مواد غريبة"(١).

فقد اجتمعت كلمة هؤلاء النقاد على أن البلاغة العربية بالتقسيم الثلاثي لعلومها قد فقدت في العصر الحديث حيويتها ، وغابت عنها قدرتها على تحليل النصوص والتفاعل معها ؛ بسبب طغيان المنطق والفلسفة على تقسيمها وتبويبها ومباحثها.

والحقُّ الذي لا جدال فيه ، والواقع الذي لا ينازع فيه إلا جاحد أن السكاكي لم يقصد بتأليف المفتاح أن يكون كتابا في البلاغة خاصة ، بل أراد أن يؤسس لنظرية كبرى ومشروع عظيم اسمه : (علم الأدب) وذكر في مقدمة كتابه أنه سيذكر فيه جهات تحصيل هذا العلم وذلك في قوله : وقد ضمنت كتابي هذا من أنواع الأدب ، دون نوع اللغة ، ما رأيته لا بد منه ، وهي عدة أنواع متآخذة . فأودعته علم الصرف بتمامه ، وأنه لا يتم إلا بعلم الاشتقاق المتنوع على أنواعه الثلاثة وقد كشفت عنها القناع . وأوردت علم النحو بتمامه، وتمامه بعلمي المعاني والبيان".(٢) فالسكاكي أراد أن يضمن كتابه علوم الصرف والنحو والبلاغة ، لكنه وقع تحت نقد المحدثين على أنه كتاب في البلاغة دون غيرها من العلوم ، فعزلوه عن المشروع الذي أراده صاحبه،

(١) البلاغة تطور وتاريخ د شوقي ضيف:٢٩٦ ، دار المعارف ، مصر الطبعة الثانية (بدون تاريخ).

(٢) مفتاح العلوم لأبي يعقوب يوسف السكاكي: ٨- ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه : نعيم زرزور – دار الكتب العلمية بيروت- لبنان – الطبعة الثانية: ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.

وأخذوا يصوبون له سهام الانتقادات المتتابعة : بأنه جمد البلاغة ووجهها تلك الوجهة الفلسفية المنطقية الخالصة ، وجعلها قواعد تُحفظ ولا يقاس عليها ، وأنه باعد بينها وبين وظيفتها الأساسية في إرهاف الحس وتنمية الملكات ، وأنه المسئول الأوحد عن حال البلاغة العربية اليوم.

وإنني أتساءل ما ذنب السكاكي – الذي وُجِد في زمن كادت أن تنمحي فيه العلوم العربية والإسلامية– عندما نظر لتلك الثروة البلاغية الزاخرة المبعثرة التي لا يجمعها كتاب ولا يشملها منهج ، فقرر أن يجمعها ويضبطها ويضع لها القواعد والتقسيمات التي تجعلها علما مستقلا ؛ فيسهل على طلاب العلم تحصيلها واستيعابها والإفادة منها ، أظن أن هذا جهد يُذكَر فيُشكر ، لا يُذَّم ويُعاب ، ولا شك أن في سبيل ذلك الضبط والتبويب والتقسيم ، كان لابد من التأثر بروح الفلسفة والمنطق ، والبعد قليلا عن التحليل الفني والعرض الرائق الذي تميز به الإمام عبد القاهر الجرجاني.

كما أنه "شرف للبلاغة أن تكون علما من أن تكون بحوثا مبعثرة لا تلتزم بخطة أو منهج يضبط حركتها ، فلا نتصور أن تُعاب دراسة ما بأنها أخذت ثوبًا علميًا منظما ، بل الأوفق أن تكون العلمية صفة مدح لا ذم ، وهو ما تصبو إليه أي دراسة قديمة أو جديدة... ولم يصنع السكاكي شيئا سوى أنه حول البلاغة إلى علم دقيق ، فهل العشوائية تُمتدَح ، والنظام يُعاب ؟! وهل الاعتباطية في البحث تُعد أصلًا والتنظيم المبرَّر يصير تعقيدًا وجمودًا ؟ إن كل هذه الأحكام تحتاج إلى مراجعة تصحيحية منصفة"(١).

ولا ننسى ولا نستطيع بأي حال أن نتغافل عن أن السكاكي لم يكن بدعا في طريق التقنين والتقعيد لعلوم البلاغة ، بل سلك هذا المسلك قبله أعلام من علماء العربية كأبي هلال العسكري في الصناعتين ، وقدامة بن

(١) البلاغة العربية قراءة أخرى : د / محمد عبد المطلب: ٢ الشركة المصرية العالمية للنشر – لونجمان– الطبعة الأولى: ١٩٩٧م .

جعفر في نقد الشعر، وسبقه بقليل الإمام الرازي في أواخر القرن السادس الهجري ، فقد قام بتلخيص كتابي الإمام عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة في كتابه : نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز ، وافتخر بكتابه ، وتباهى به حتى وصل الأمر به ليوازن بين كتابه وكتابي الإمام عبد القاهر الجرجاني، ويرى أن ما قدمه في كتابه نهاية الإيجاز أفضل لطلاب العلم مما خلَّفه الإمام عبد القاهر فيقول: " لكنه رحمه الله – يعني الإمام عبد القاهر – لكونه مستخرجًا لأصول هذا العلم وأقسامه وشرائطه وأحكامه ، أهمل رعاية ترتيب الأصول والأبواب ، وأطنب في الكلام كل الإطناب ، ولما وفقني الله لمطالعة هذين الكتابين التقطت منهما معاقد فوائدهما ، ومقاصد فرائدهما ، وراعيت الترتيب مع التهذيب ، والتحرير مع التقرير، وضبطت أوابد الإجمالات في كل باب بالتقسيمات اليقينية ، وجمعت متفرقات الكلم في الضوابط العقلية، مع الاجتناب عن الإطناب الممل والاحتراز عن الخطأ المخل "[1] ولست بصدد التعليق على كلام الإمام الرازي، لأنه ليس مناط حديثنا في هذا البحث، بل أحببت أن أنبه إلى أن جمع أصول البلاغة وتبويبها وضبطها بالتقسيمات العقلية أمر لم يبتدعه السكاكي، بل سُبِقَ إليه، ثم جاء هو ليتوج هذا العهد بكتابه مفتاح العلوم.

كما أن تأليف السكاكي لكتابه مفتاح العلوم على هذا النحو وتقسيمه لعلوم البلاغة هذا التقسيم كان تلبية لحاجة ملحة ورغبة أكيدة لأبناء عصره، وقد أفصح عن تلك الرغبة في مقدمة مفتاحه ، حيث يقول: " ولما رأيت حال أهل زماني الفاضلين الكاملي الفضل قد طال إلحاحهم عليّ في أن أصنف لهم مختصرا يحظيهم بأوفر حظ منه ، وأن يكون أسلوبه أقرب أسلوب من فهم كل ذكي، صنفت هذا وضمنت لمن أتقنه أن ينفتح عليه جميع المطالب العلمية،

(١) نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز لفخر الدين الرازي: ٥ ت: نصر الله أوغلي، دار صادر بيروت– الطبعة الأولى :١٤٢٤هـ – ٢٠٠٤م.

وسميته: مفتاح العلوم وجعلت هذا الكتاب ثلاثة أقسام: القسم الأول في علم الصرف، القسم الثاني في علم النحو، القسم الثالث في علمي المعاني والبيان"[١].

وبالرغم من نزعة السكاكي الفلسفية واهتمامه بالجانب المعياري إلا أنه لم يغفل دور الذوق السليم ، بل جعله الحَكَمَ الفصل في ممارسة النقد ، وذلك واضح جلي في قوله: "ثم إذا كنت ممن ملك الذوق على الطبع وتصفحت كلام رب العزة أطلعتك على ما يوردك هناك موارد الهزة ، وكشفت لنور بصيرتك عن وجه إعجازه القناع ، وفصلت لك ما أجمله إيثار أولئك المصاقع على معارضته القراع ، فإن ملاك الأمر في علم المعاني هو الذوق السليم والطبع المستقيم ، فمن لم يرزقهما فعليه بعلوم أخر، وإلا لم يحظ بطائل مما تقدم وما تأخر:

إذا لم تكن للمرء عين صحيحة ... فلا غرو أن يرتاب والصبح مسفر"[٢]

وفي ختام حديثه عن الإسناد الخبري قال : " هذا الفن فن لا تلين عريكته ، ولا تنقاد قرونته بمجرد استقراء صور منه وتتبع مظان أخوات لها ، وإتعاب النفس بتكرارها ، واستيداع الخاطر حفظها وتحصيلها ، بل لا بد من ممارسات لها كثيرة ، ومراجعات فيها طويلة ، مع فضل إلهي من سلامة فطرة، واستقامة طبيعة ، وشدة ذكاء ، وصفاء قريحة ، وعقل وافر."[٣]

ولم يتوقف تقدير السكاكي لقيمة الذوق عند هذا الحد ، بل جعله الوسيلة الوحيدة للوقوف على إعجاز القرآن ؛ وقال قولته الشهيرة التي أثارت جدلا كبيرًا قديما وحديثا : " واعلم أن شأن الإعجاز عجيب ، يدرك ولا يمكن وصفه ، كاستقامة الوزن تدرك ولا يمكن وصفها ، وكالملاحة ، ومُدرِكُ

(١) مفتاح العلوم : ٧
(٢) المصدر السابق: ١٣٨.
(٣) مفتاح العلوم: ٧٦.

الإعجاز عندي هو الذوق ليس إلا ، وطريقة اكتساب الذوق طول خدمة هذين العلمين المعاني والبيان ، نعم للبلاغة وجوه متلثمة ربما تيسرت إماطة اللثام عنها لتجلى عليك، أما نفس وجه الإعجاز فلا "[1] ومن يتتبع المفتاح يجده ثريا ومترعا بالمواضع التي يؤكد فيها السكاكي على دور الذوق الفني وأهميته في إدراك لطائف المعاني وأسرار الجمال.

فتحليل النصوص ونقدها والحكم عليها عند السكاكي لا يتوقف علي القاعدة البلاغية فحسب ، ولم تكن هي المقياس النقدي الوحيد عنده ، بل إن الذوق الفني المثقف له اتصال وثيق بالعمل النقدي عنده ، وله دور مهم وأصيل في الوقوف على أسرار الجمال.

وموجز الكلام وصفوته في هذا الأمر أن السكاكي كان له منهج واضح يتسم بالدقة والتقنين والتقعيد والتمثيل ، وضبط الأبواب والأقسام بتعريفات محددة وقواعد ثابتة من أجل تقريبها وتيسير تحصيلها واستيعابها خاصة على الناشئة والمبتدئين بعد أن غاب التذوق الفني وفسدت الملكات الأدبية عن كثير منهم ، لكنه في الوقت نفسه كان يملك ذوقًا فنيًا مثقفا وحسًا مرهفا ؛ يستطيع من خلاله أن يبين دلالات النصوص ، ويدرس ظواهرها البلاغية، ويبرز ما فيها من أسرار وجمال بكل تمكن واقتدار، وفي مفتاح العلوم شواهد كثيرة دالة على ذلك ولعل من أشهرها وأوضحها تذوقه وتحليله لقول الله تعالى: ﴿**وَقِيلَ يَاأَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَاسَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ**﴾[2] [3].

هذا ما يخص الانتقادات المتعددة التي وُجِهَت للسكاكي وتقسيمه لعلوم البلاغة ، أما ما يتعلق بالدعوة للتجديد والتطوير فهو أمر لم يبتدعه

---

(١) ينظر السابق : ١٨١.

(٢) سورة هود: ٤٤.

(٣) ينظر مفتاح العلوم:١٨٢.

المحدثون ، بل قديم انبرى له غير واحد من العلماء في القرون الأولى من الهجرة ، فهذا ابن قتيبة في القرن الثالث الهجري يقول قولته الذائعة الشهيرة: "ولم يقصر الله العلم والشعر والبلاغة على زمن دون زمن ولا خص به قوماً دون قومٍ ، بل جعل ذلك مشتركاً مقسوماً بين عباده في كل دهر، وجعل كل قديم حديثاً في عصره"(١) وقال في مقدمة كتابه "إصلاح غلط أبي عبيد في غريب الحديث": "ولا نعلمه – يعني الله ﷻ– خصَّ بالعلم قوما دون قوم ، ولا وقَفَه على زمن دون زمن، بل جعله مُشتركًا مقسومًا بين عباده، يفتح للآخِر منه ما أغلقه عن الأَوَّل ، ويُنبّه المُقِلَّ فيه على ما غفل عنه المُكثِر ، ويُحييه بمتأخِّر يتعقَّب قولَ متقدِّم"(٢)

ويؤكد الإمام عبد القاهر الجرجاني على هذا المعنى أكثر من مرة ، ويقرر أن فرصة البحث عن الجديد مهيأة ومتاحة ، بل مطلوبة وواجبة ، ففي ختام حديثه عن الكناية والتعريض يقول: "وليس لشعب هذا الأصل وفروعه وأمثلته وصوره وطرقه ومسالكه حد ونهاية"(٣)، وفي ختام حديثه عن أسرار حذف المفعول يقول: "وليس لنتائج هذا الحذف – أعني حذف المفعول– نهاية، فإنه طريق إلى ضروب من الصنعة، وإلى لطائف لا تحصى"(٤)، وفي

(١) الشعر والشعراء لابن قتيبة الدينوري:١/٢ دار الحديث ، القاهرة : ١٤٧٣ هـ.

(٢) إصلاح غلط أبي عبيد في غريب الحديث لابن قتيبة الدينوري: ٤٥ – ت : عبد الله الجبوري – دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان – الطبعة: الأولى، ١٤٠٣ هـ – ١٩٨٣ م.

(٣) دلائل الإعجاز للإمام عبد القاهر الجرجاني: ٣١٣، ت: محمود محمد شاكر أبو فهر: مطبعة المدني بالقاهرة – دار المدني بجدة– الطبعة: الثالثة ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م.

(٤) المصدر السابق:١٦٣

ثنايا حديثه عن وجوه التفصيل في التشبيه والتمثيل قال: "واعلم أن هذه القسمة في التفصيل موضوعه على الأغلب الأعرف وإلا فدقائقه لا تكاد تضبط"(١).

وفي القرن السادس الهجري امتعض ابن بسام من جمود الدرس البلاغي في المغرب ومن اتباع المشارقة ومحاكاتهم والاقتداء بهم فقال: "وليت شعري من قصر العلم على بعض الزمان، وخص أهل المشرق بالإحسان، والإحسان غير محصور ، وليس الفضل على زمن بمقصور ، وعزيز على الفضل أن يُنكَر، تقدم به الزمان أو تأخر، ولحى الله قولهم : الفضل للمتقدم، فكم دَفَنَ من إحسان ، وأخمل من فلان ، ولو اقتصر المتأخرون على كُتب المتقدمين، لضاع علم كثير، وذهب أدب غزير"(٢)....

فالتجديد والتطوير أمر لا خلاف عليه ، " فكل شيء في الدنيا يخضع لناموس التطور وسنة التحول، ومن ذلك: العلوم والمعارف والثقافات والفنون، فهي تتغير عصرا عن عصر، وتتطور من جيل لآخر تطورًا يلائم روح العصر، ويناسب ظروف أهله، وما لم يستجب منها لسنن التطور وفقًا لمتطلبات العصر بان شذوذه ووضح جموده ، وظهر من أفراد العصر من ينادي بتطويره، ويدعو لتجديده، ويعمل على تحريكه ليمضي مع الحياة ويُعبر عن المجتمع، وتراثنا البلاغي من هذا الناموس التطوري الذي هو أمر طبعي، وشيء ضروري لاستمرار الحياة وبقاء الكون"(٣).

❁❁❁❁❁

(١) أسرار البلاغة للإمام عبد القاهر الجرجاني: ١٤٦ ت: محمود محمد شاكر– مطبعة المدني بالقاهرة ، دار المدني بجدة– ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م.

(٢) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لابن بسام الشنتريني: ١/١٢ ت:إحسان عباس – الدار العربية للكتاب، ليبيا – تونس– الطبعة الأولى: ١٩٧٨

(٣) المدخل إلى دراسة البلاغة : د : فتحي فريد:٢ مكتبة النهضة المصرية ١٩٧٨م

المبحث الثاني
محاولات التجديد
عرض، وتحليل، ونقد

سعى كثير من البلاغيين والنقاد في العصر الحديث نحو تطوير الدرس البلاغي واستبدال الدراسة التقليدية القائمة على التقسيم الثلاثي: المعاني ، والبيان ، والبديع ، وقدم بعضهم مناهج جديدة لتدريس البلاغة العربية ، كالشيخ أمين الخولي ، والأستاذ أحمد الشايب ، والدكتور أحمد مصطفى المراغي ، والدكتور أحمد مطلوب وغيرهم ، فقد نادوا بالتطوير ودعوا للتجديد ، واتفقوا وأجمعوا أمرهم على مطلب واحد ، وهو ضرورة القضاء على دراسة البلاغة العربية من خلال التقسيم الثلاثي لعلومها ؛ لما شابها من تأثر بأغلال الفلسفة والمنطق ، وكثرة المصطلحات والتقسيمات وثقلها وتزاحمها ، ثم اختلفوا بعد ذلك في طريقة التجديد ، فبعضهم يرى ضرورة أن يكون التجديد نابعا من تراثنا وروحنا وفطرتنا ، والبعض الآخر يرى أنه من الأجدى دمج البلاغة العربية بالدراسات البلاغية الأوربية من أجل التطوير ومواكبة العصر، وغيرها من الآراء والأفكار التي اختلف من حيث الهدف والكيفية والسعة والضيق والعمق والشمول ، ولا شك أن تلك المحاولات قد أثمرت مجموعة من التصورات والأفكار التى امتاز بعضها بالجدة والابتكار ، لكنها في الوقت نفسه أفرزت كثيرًا من الملابسات والشبهات التي أحدثت خللا واضطرابًا وأربكت المشهد البلاغي والنقدي ؛ لذا سأتناول في الصفحات القادمة قراءة أصول تلك المحاولات قراءة متأنية فاحصة ، متعرضا لها بالتحليل والنقد الموضوعي ، مبرزا ايجابياتها قبل سلبياتها ؛ رغبة في الإسهام في نهضة بلاغية مأمولة ، والوصول لخطة جديدة متكاملة ومنهج متطور يصلح لتدريس بلاغتنا الحبيبة في العصر الحديث.

١- منهج الشيخ أمين الخولي:

يُعد أمين الخولي من أهم رواد التجديد في العصر الحديث ، ومن أوائل الذين نادوا بتجديد العلوم العربية عامة والبلاغة خاصة ، فقد أعلن ثورته على البلاغة العربية وفكرة التقسيم الثلاثي لعلومها، وطالب بضرورة ارتباط اللغة بالحياة الحديثة ، واتخذ شعارا لم ينقطع عن ترديده ومحاولة تطبيقه ، وهو أن التجديد قتل القديم فهما.

وقد بلغت الصورة الكاملة لدعوته التجديدية في كتابيه :(فن القول) (ومناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب) فقد نادى فيهما بالدعوة الى الانتقال بالدرس البلاغي الى آفاق أوسع وأرحب، ونادى بوجوب إهمال الدراسة الفلسفية المستعجمة التي تقوم على التقسيم الثلاثي: المعاني، والبيان، والبديع، حيث يقول: " بدأت اشتغل بدرس البلاغة العربية، وما البلاغة إلاّ البحث عن جمال القول، كيفَ وبِمَ يكون ؟ وهذه البلاغة هي روح الأدب، والأدب جسمها ومادتها : تُعلم صنعه، وتبصر بنقده ، وقد نَظرْتُ فإذا هذا الدرس الذي يعلم القول الأجمل، والكلام الأفضل ويصدر أحكاما وجدانية، بنصيب القول من الحُسْن، قد ردَّه الأقدمون في العربية، ضرباً من الحُكم العقلي المنطقي النظري بالصواب والخطأ، فأَخلَّوا في تناوله ودرسه بالمنهج الفني إخلالاً صارخاً، فشاعت فيهم دراسته- أروج ما شاعت- بأساليب فلسفية عقلية، منطقية كلامية، فكانت محاولتي الأُولى في سبيل البلاغة، متجَّهة الى تخليص البلاغة من بَراثن تلك الفلسفة، وإبعادها عن الميدان النظري والتناول العقلي ، وإقرارها في ساحة الفن ، وباحة الوجدان ، والأخذ في درسها بأسباب الحكم الفني... وبعبارة أَخصر: كانت محاولتي الأُولى في سبيل البلاغة هي تحقيق فنِّية البلاغة"(١).

(١) ينظر: مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب: أمين الخولي : ٢٦٦ دار المعرفة ، الطبعة الاولى ١٩٦١م.

وقد استهدف الخولي من التجديد غرضين: قريب، وبعيد.

أما القريب فهو تسهيل الدراسة ، وتقليل ما يبذل فيها من جهد ووقت، مع تحقيق المطلوب من ورائها تحقيقا عمليا، بحيث يمكن لكل دارس لها أن يظفر في وقت مناسب وبجهد محتمل، بما يستطيع معه استعمال اللغة في حياته، وهذا الغرض يحققه المنهج الصالح ، والكتاب المنظم ، والمعلم الكفء.

وأما **الهدف البعيد** من التجديد فهو أن تكون الدراسات الأدبية أو علوم الأدب مادة من مواد النهوض الاجتماعي ، تتصل بمشاعر الأمة ، وترضي كرامتها الشخصية ، وتساير حاجاتها الفنية المتجددة ، فتكون اللغة لغة الحياة ... فلا يعيش الناس بلغة ، ويكتبون بلغة أخرى ، ولا تكون اللغة سببا في فرض نظام من الطبقات على الأمة"(١).

ويرى الخولي أن هذين الهدفين لا يتحققان" إلا بتغيير يمس الأصول أو الأسس البعيدة، وأنه غير يسير في جوانب مختلفة من العلوم العربية، إلا أنه أقل مشقة في البلاغة ودرسها ؛ لمرونة في فطرتها، وقابلية في منهجها الذي يعتمد على الذوق والوجدان، ويصل أبحاثها بالفن والجمال"(٢).

وقد اتخذ الخولي لنفسه منهجا جديدا للبلاغة العربية، بدأه بتغيير جذري لمصطلح العلم نفسه (البلاغة) فقد استبدله بمصلح (فن القول) وزعم أن هذا الاسم الجديد سيكون له أثر كبير في التجديد والتطوير المستهدف، فهو – كما يرى–" له إيحاؤه الدائم، ولفته المتصل إلى الهدف الجميل المبتغى في الصورة والمنهج ، وصرفه عما يحرص على إبعاده من الصور القديمة للبلاغة والطريقة غير الصالحة في التناول"(٣).

---

(١) فن القول: أمين الخولي: ١٨٥ مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة ١٩٩٦م.

(٢) المرجع السابق : ١٩.

(٣) السابق نفسه :٢١.

ورأى أيضا أن مادة فن القول " تحمل دلالة لغوية قريبة على المعنى الحسن المراد من البلاغة قديما وحديثا ؛ لما في مادة الفن من المعاني التي منها التزيين، يقال: فن الشيء فنا زينه. ومنها التنويع، مع إشعار بمعنى الحسن، يقال: افتن في الحديث: أخذ في فنون وأساليب حسنة من الكلام، وهذه الدلالة أقرب إلى حسن القول وجمال الكلام من دلالة البلوغ والانتهاء الذي أخذوا منه اسم البلاغة"(١).

ثم قصد إلى التجديد الذي يرتبط بالأصول والتراث ، وجهر بضرورة إلغاء التقسيم الثلاثي للبلاغة العربية، وصرَّح بذلك في قوله:" لا بد أن نقوم أولا بـ (التخلية) كي نخلص هذه البلاغة من مظاهر الجمود وظواهر الجفاف وأسباب الذبول، ونترك ما يجب إهماله، تخففا مما لا جدوى فيه، وفسحًا للجديد المرجو... **ومن التخلية: إلغاء تقسيمهم الثلاثي لفروع البلاغة جملة: المعاني، والبيان ، والبديع** ، وهذا التقسيم في الحقيقة ثنائي، فالبديع ليس إلا تابعًا كما يتضح ذلك من الصور التركيبية لعلوم العربية عندهم ؛ وإنما نُلغِي هذا التقسيم الثنائي لأسباب في نقدهم هم لهذا القديم، ثم لأسباب في النظرة الجديدة، فأما ما في القديم من ذلك، فهي أنهم يديرون هذا التقسيم على اعتبارات ضعيفة، قد وهنوا من أمرها في قديمهم؛ فملحظهم في هذا التقسيم " أن علم المعاني يبحث في المركبات الموزونة وغيرها عن رفادتها لمعان فوق المعنى الأصلى، وعلم البيان يبحث في مراتب هذه الإفادة الثانية في الوضوح ، فثاني البحثين يترتب على الأول، وهم يقدمون المعاني على البيان ، لأنه بمنزلة المفرد من المركب، إذ إن رعاية المطابقة لمقتضى الحال، وهي مرجع علم المعاني، معتبرة في علم البيان مع زيادة شيء آخر، وهو إيراد المعنى الواحد في طرق مختلفة" وهذا الاعتبار ينقضه قول السبكي:" إن من الحق الذي لا ينازع فيه منصف أن كل واحد من

(١) السابق نفسه: ١٧٩

تطبيق الكلام على مقتضى الحال ، ومن الإيراد بطرق مختلفة، ومن وجوه التحسين، قد يوجد دون الآخر" وما دام الأمر كذلك، فالدائرة المرسومة للبحث على غير هذا الأساس، لا قوة لها ولا أصل، فلا وجه اليوم لالتزام حدودها ، والتقيد بها.[١].

هذا دليله من القديم على وجوب إلغاء التقسيم الثلاثي، أما من الحديث فيتمثل في ضرورة إدخال مباحث المقدمة في المقاصد باعتبار الكلمة عنصرًا جوهريا في الأسلوب وفن القول، ومن " إبطال ملحظهم في ضبط مباحث كل فرع من فروع البلاغة الثلاثة إبطالا يُعاد بعده تنسيق تلك المباحث كلها على أساس وملحظ آخر خليق بالصورة الجميلة والمنهج الصحيح"[٢]

ومن هذا المنطلق رأى" ضرورة العدول عن هذه الثلاثية المصطلحية إلى مصطلح واحد جامع هو البلاغة، ثم نقسم الدرس إلى بلاغة الألفاظ وبلاغة المعاني، وفي بلاغة الألفاظ نبحث عنها من حيث إن تلك الألفاظ أصوات ذات جرس، ثم من حيث هي دوال على المعاني مفهمة لها، ونبحث ذلك في المفرد والجملة والفقرة والقطعة، ونقسم المعاني بمناسبها حتى ننتهي إلى دراسة فنون القول المنظوم والمنتور فنًا فنًا، وما به قوام كل فن وحسنه، متخطين الفنون القديمة من المقامة والرسالة والخطبة إلى الفنون الحديثة من المقالة والقصة على اختلاف أنواعها"[٣] .

وبناء على ذلك أعدَّ الخولي خطة جديدة لدراسة البلاغة العربية – أو فن القول كما يسميها– واشتملت تلك الخطة على: مبادئ، ومقدمات، ومباحث، على النحو الآتي:

---

(١) فن القول :٢٣٨ ، وينظر: :شروح التلخيص:عروس الأفراح٢/٢٨٤.

(٢) فن القول: ١٨٦.

(٣) مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب: أمين الخولي:٢٦٧

المبادئ: تناول فيها تعريف فن القول ، وبيان موضوعه ، وغايته ، وعلاقته بغيره من الدراسات الأَدبية الأخرى : الأدب ، والنقد الأَدبي ، وتاريخ الأَدب.

المقـدِّمات: تحدث فيها عن الفن وحقيقته، ومكانته بين المعارف الإنسانية، والفن والفلسفة، والفن والعلم، والفن والجمال، وقبسات من علم الجمال. كما عقد المؤلف مقدِّمة نفسية تحدث فيها عن القوى الإنسانية وصلة بعضها ببعض، واتصال هذه القوى المختلفة بالعمل الفني، ومدى تأثيرها فيه، والحياة الوجدانية مقوماتها، وأَغراضها وصلتها بجوانب الحياة الأُخرى.

الأبحاث: وهي لب الدرس وصميمه، ودارت حول اللفظ والمعني باعتبارهما العنصران الأساسيان في أي عمل أدبي ، فتحدث أولًا عن **الكلمة** من حيث كونها عنصراً لغوياً له دور في أداء المعنى، **ثم الجملة:** فتحدث عنها من حيث ربط جزئيها بالإسناد، ودخول المؤكدات عليها، والاعتبارات المقتضية لتوكيدها الجملة، الى غير ذلك، وتحدث عن القصر وأثره في توكيد الجملة، وتناول أيضا الإيجاز والإطناب، ثم تناول **الفقرة:** فتحدث عن الفصل والوصل وضوابطه الفنية، وإيجاز الفقرة وإطنابها، ومقتضياته وضوابطه.

ثم تناول **صور التعبير**، وقسمها إلى صور الإيضاح المعلن، وصور التعبير المظللة، أما صور الإيضاح المعلن فهي:التشبيه، والاستعارة، والكناية، والتجريد، والقلب، وأسلوب الحكيم، والمبالغة، وتأكيد المدح بما يشبه الذم، والتدبيج، والتهييج، والإلهاب، والتهكم والفكاهة، والتجاهل... وأما صور التعبير المظللة فهي: الرمز، والإيماء، والإلغاز، والتورية، والاستخدام...

ثم تحدث عن **القطعة الأدبية وعناصر العمل الأدبي** ، وعلاقة اللفظ والمعنى بالعمل الأدبي ، وخصائص المعاني الأدبية التي تميزها عن غيرها من المعاني، ومصادر إيجاد هذه المعاني وطرائق هذا الايجاد ، كما تحدث عن الأدب والثقافة العامة والخاصة ، وترتيب المعاني الأدبية قديماً وحديثاً، مع دراسة العوامل النفسية والأدبية واختلافها بين المتفننين، وبيان أثرها في

فنهم، مع دراسة اختلاف الأدباء في عرض تلك المعاني واخراجها وأثر ذلك كله، ثم تحدث عن الفنون الأدبية المختلفة ، وأقسام العمل الأدبي قديماً وحديثاً ، ودرس خصائص الشعر في عباراته ومعانيه وموضوعاته ، ووضح خصائص كل فن من فنونه ، كما تحدث عن النثر وخصائصه في عباراته ومعانيه وموضوعاته.

ثم ختم مباحثه بالحديث عن الأساليب وأنواعها وبيان مقومات كل أسلوب ومميزاته.

هذا هو المنهج الجديد الذي رسمه الخولي لدراسة البلاغة العربية، وتلك خطته في تطويرها، ولا شك أنها تحمل دعوة صريحة وواضحة لبلاغة جديدة.

تحليل ونقد منهج أمين الخولي:

عرضت فيما سبق رأي الشيخ الخولي ومنهجه الذي اقترحه من أجل الوصول إلى بلاغة جديدة تواكب العصر وتساير النهضة الحديثة– على حد قوله–، ولا أخفيك سرًا أن هذا المنهج قد أصابني بحيرة شديدة ، وجعلني أتساءل : من أي الفريقين هو ؟ أمن المحافظين على التراث أم من المجددين الثائرين ؟! لأنه يبدو في كثير من أقواله وآرائه محافظًا شديدًا غيورًا على التراث ، وفي أحيان أخرى أراه ثائرا عليه ، وأحسبه من غلاة المجددين ، فكيف التقى التجديد مع المحافظة على التراث عنده ، وكيف تلازما هذا التلازم الغريب ؟

والآن سأتناول تلك المحاولة بالتحليل والنقد ، وسيكون ذلك في نقاط:

– دعوة الخولي إلى تغيير تسمية (البلاغة) لتصبح (فن القول) أمر يرفضه العقل والعلم معا ؛ لأن مصطلح فن القول لا يخص علم البلاغة فحسب ، بل يشمل كثيرًا من ألوان الأدب وفنونه ، وإذا أُطلِق فن القول عَلَمًا على علم البلاغة لا يكون العلم به جامعا مانعا ، كما أنني أزعم أنه لا يصلح أن يقوم مقام مصطلح البلاغة أي مصطلح آخر؛ لأسباب كثيرة من أهمها:

ارتباط البلاغة بالقرآن والسنة فبلاغة القرآن وبلاغة الرسول صلى الله عليه وسلم أصلان عظيمان من أصول العلم والإعجاز ، كما أنها تسمية عظيمة لها أصالتها وبهاؤها وإشراقها ، فضلا عن أن التجديد والتطوير المستهدف لا يقوم على الهجوم على مصطلحات العلوم ومحاولة القضاء عليها واستبدالها بمصطلحات يزعم الداعون إليها أنها حديثة أملا في مواكبة العصر والتطور.

كما أن الخولي وقع في تناقض كبير بشأن هذه التسمية ، فقد دَعَى في كتابه فن القول إلى تغيير تسيمة البلاغة لتصبح فن القول ، وزعم أن هذا الاسم الجديد سيكون له أثر كبير في التجديد والتطوير المستهدف ، بينما أبقى على مصطلح (البلاغة) في كتابه الآخر مناهج تجديد ، فقد رأى "ضرورة العدول عن القسمة الثلاثية المصطلحية إلى مصطلح واحد جامع هو (البلاغة) ثم نقسم الدرس إلى بلاغة الألفاظ وبلاغة المعاني"(١)

– رغبة الخولي في وضع مقدمة فنية قبل الشروع في مباحث البلاغة أمر جيد وضروري ومفيد للدراسات البلاغية والنقدية ؛ لتنمية حاسة التذوق الأدبي لدى الدارسين ، كما أنها وسيلة مجدية لربط البلاغة بالدراسات الأدبية والنقدية ، وكذا الحال بالنسبة للمقدمة النفسية ، فهي نافعة في تهيئة الدارسين وإعدادهم قبل الحديث عن مقتضى الحال وأسباب الذكر والحذف والتقديم والتأخير وغير ذلك من الاعتبارات النفسية المتصلة بالبلاغة ، لكن لا بد أن تُقنن تلك المقدمات ويوضع لها القيود وتُحد لها الحدود حتى لا تطغى تلك الدراسات النفسية والفنية على الجانب البلاغي ؛ فتصرف الدراسة البلاغية عن هدفها ، وتثنيهاعن غاياتها.

– أما عن حديث الخولي عن فساد التقسيم الثلاثي بدعوى أن الخطيب القزويني ومن تبعه قد أخرجوا مبحث فصاحة الكلمة والكلام من دائرة التقسيم ، وجعلوه مقدمة لدراسة البلاغة مع أنه من صميم البلاغة ومن

(١) المرجع السابق :٢٦٧

مقاصدها وعناصرها الجوهرية ... عند تحقيق القول في هذه المسألة اتضح لي أن الخطيب القزويني قد أولى دراسة الفصاحة عناية خاصة على خلاف ما ما فعل السكاكي ، فبعد أن كان مبحث الفصاحة نافلة من نوافل الدرس البلاغي، وذيلا للمعاني والبيان عند السكاكي ، قدمها الخطيب في الذكر على المعاني والبيان والبديع ، وذكر العيوب التي تخل بها مع الشرح والتوضيح والتمثيل ، وفرَّقَ بينها وبين البلاغة ، لأن كثيرا من البلاغيين والنقاد في ذلك الوقت كانوا لا يفرقون بين الفصاحة والبلاغة ؛ نظرًا لتقاربهما في الدلالة اللغوية ، فقد شاع استعمالهما في كتب النقد والبلاغة على أنهما متماثلان ، يستعملان معا ، أو تستعمل إحداهما مكان الأخرى ، فإذا أرادوا وصف كلام واضح المعنى سهل اللفظ جيد السبك قالوا: فصيح أو بليغ ، فلذلك كانت تلك المقدمة ضرورية لكشف النقاب وإماطة اللثام عن الفرق بين الفصاحة والبلاغة قبل الشروع في مباحث العلم.

أما بالنسبة لشراح التلخيص فقد تباينت آراؤهم حول تلك المقدمة ، ولم يجمعوا أمرهم على أنها ليست من مقاصد البلاغة ولا من عناصرها الجوهرية، بل إن بعضهم عني بها عناية فائقة ، وجعلها عنصرا أساسيا من عناصر البلاغة كالسبكي ، وذلك واضح جلي في قوله:" فإذا أراد المصنف أنها مقدمة الكتاب فهي جزء منه، وإن أراد أنها مقدمة العلوم فهي ذريعة إليها بدليل أنه سيذكر هذه العلوم مستقلة ، ويجوز أن تكون جزءًا لكل من الثلاثة ، فلذلك قدمها عليها، والراجح أنها جزء على التقديرين خلافا لقول الخطيبي(١): إنها ذريعة"(٢) وأخذ يتناول الفصاحة بالشرح والتحليل، ويفسح لها المجال، ويضع لها المقاييس والضوابط.

---

(١) الخطيبي: هو محمد بن مظفر شمس الدين الخطيبي الخلخالي: من مؤلفاته : كتاب "مفتاح تلخيص المفتاح" وهو أول كتاب تعرض للرد على اعتراضات الخطيب على السكاكي، توفي سنة خمس وأربعين وسبعمائة للهجرة.

(٢) شروح التلخيص: عروس الأفراح:٦٧/١- دار الكتب العلمية بيروت، لبنان.

كما أن الكلمة وفصاحتها لم تكن بمنأى عن اهتمام كثير من البلاغيين والنقاد القدماء، فقد كانت دراسة الكلمة من جميع مستوياتها موضع اهتمام عدد كبير من النقاد والبلاغيين كابن سنان الخفاجي وابن الأثير، فقد عقد ابن سنان لها فصلا خاصا، تناولها بالتعريف ، وفرَّق بينها وبين البلاغة، ووضع لها المقاييس والضوابط ، وكذا ابن الأثير تعرض للحديث عن الفصاحة في فصل خاص ، بين أهميتها ودقتها، وحاجتها للمزيد من البحث والدرس ، ومما قاله في هذا المقام: "اعلم أن هذا باب متعذر على الوالج ، ومسلك متوعر على الناهج ، ولم يزل العلماء من قديم الوقت وحديثه يكثرون القول فيه والبحث عنه ولم أجد من ذلك ما يعول عليه إلا القليل"(١).

– أما عن مناقشة الخولي للتقسيم الثلاثي فلم تكن مناقشة علمية واضحة المعالم ، بل كانت في غالب أحوالها عاطفية انفعالية ، تكدرت فيها الرؤية ، وغمضت فيها المعالم ، فلم ألاحظه اهتم اهتماما حقيقيا بمناقشة القواعد والتقسيمات بقدر ما اهتم بالدعوة للفن والغاية الجمالية الخالصة ، فللجانب الفني عنده عناية واهتمام بالغ ، والدليل على ذلك كتاباته ، فجلها تسبح في فلك البحث عن الجمال، وعندما حاول وضع قاعدة للدرس البلاغي جعله قسمين: بلاغة الألفاظ ، وبلاغة المعاني، ولا شك أن التقسيم الثلاثي على ما وُجِّهَ له من انتقادات أفضل للدراسة والتعليم ، وأكثر ملائمة لتحليل النصوص من تلك القسمة الثنائية (اللفظ والمعنى) التي قُضِي عليها بصعوبة بالغة بعدما شغلت عددًا كبيرًا من النقاد والبلاغيين حينا من الدهر.

كما أن قسمة الخولي الثنائية التي يدعو لها تُوجب على الدارس تفكيك النص الأدبي إلى بلاغة الألفاظ ، وبلاغة المعانى ، ولا يتم دراسة

(١) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: نصر الله بن محمد الشيباني الجزري المعروف بابن الأثير:١/٨٠ ت: محمد محي الدين عبد الحميد – المكتبة العصرية للطباعة والنشر – بيروت :١٤٢٠ هـ

العمل الأدبي من خلالها كجسم واحد ، وهو أمر مرفوض عند الخولي ومن لف لفه ؛ لأن علاقة اللفظ بالمعنى عندهم علاقة عضوية حتمية ملتحمة.

ومما يؤخذ أيضًا على تقسيم الخولي المطروح للمناقشة : الاضطراب والتداخل؛ فقد أدرج تأكيد المدح بما يشبه الذم ، وأسلوب الحكيم ، والتهكم ، والتجاهل في صور الإيضاح المعلن ، ولا شك أنه ليس من اللائق وضعهم ذلك الموضع ، بل أولى بهم وأقرب رحمًا لهم صور التعبير المظللة ، كما تناول الخولي كثيرا من المباحث التي لا دخل لها بعلم البلاغة ، كاللفظ والمعنى والعلاقة بينهما ، والشعر وموضوعاته وخصائصه ، والنثر ، ولا ريب أن الدراسات الأدبية والنقدية أولى بذلك كله.

– دعوته لتوسيع دائرة البحث البلاغي والانطلاق به إلى آفاق أوسع وأرحب من بلاغة الجملة والشاهد والمثال إلى بلاغة الفقرة والنص والقطعة الأدبية الكاملة إدعاء غير واقعي وقد أُغرى به كثيرٌ ممن تبعه ولف لفه دون وعي ؛ لأن واقع الدرس البلاغي يشهد بغير ذلك ؛ فالتراث حافل بالنظر والعناية بما فوق الفقرة والنص كما في علم المناسبات القرآنية ، وأحوال المتشابه اللفظي في القرآن الكريم ، والعلوم التي ارتبطت بالبلاغة القرآنية وعُنيت ببيان العلاقة بين السور، وتناسب المطالع والمقاصد ، والمطالع والخواتيم وغير ذلك... كل ذلك يؤكد تهافت هذا الادعاء.

وما ذكرت من ملاحظات وتعليقات لا يقلل من قيمة تلك المحاولة التجديدية، ولا ينفي عنها صفة الجدة والابتكار ، ولا شك أننا إذا عرضنا أفكاره وآراءه التجديدية في كتابيه: فن القول ومناهج تجديد فإننا سنعثر على كثير من الأفكار والمقترحات الجديرة بالعناية والمتابعة ، كدعوته لتخليص البلاغة من كثير من أعباء المنطق والفلسفة والتقسيمات والتفريعات والمجادلات النظرية ، وكذا مناداته بضرورة إحياء المنهج الأدبي الفني في دراسة البلاغة العربية ، وغير ذلك من الآراء والمقترحات التي توقفت عند الجانب التنظيري ، ولم تجد من يتابعها على مستوى التطبيق من البلاغيين والنقاد.

منهج وزارة المعارف عام ١٩٣٨م

شكلت وزارة المعارف عام ١٩٣٨م لجنة للنظر في علوم اللغة العربية بشأن تيسيرها ، وكانت هذه اللجنة مكونة من الأساتذة : طه حسين ، وأحمد أمين ، وعلي الجارم ، وإبراهيم مصطفى ، وعبد المجيد الشافعي ، ومحمد أبو بكر إبراهيم ، وقد أوصت اللجنة في تقريرها(١)– فيما يخص البلاغة– بضرورة التخلي عن تدريس البلاغة بالطريقة المتداولة من خلال التقسيم الثلاثي لعلومها ، واقترحت طريقة جديدة لتدريس البلاغة ، وذكرت في صدر هذا التقرير كلامًا خطيرًا لابد أن يُذكر في هذا المقام ، فقد قالوا : إن العرب قد استطاعوا أن يستغنوا عن البلاغة ويعيشوا بدونها عصرا طويلا هو من أزهى عصور الحياة الأدبية وأروعها ، وقد عدلت الأمم الحديثة في تعليم لغاتها وآدابها عدولًا تامًا ؛ فلم يصبها من ذلك شرٌ ما . ومع ذلك لم نعدل عنها، ولم نطلب إلغاءها ، وإنما رددناها إلى أصلها ، وجعلناها فصلًا من فصول الأدب ، ووسيلة من وسائله ، وألغينا منها ما لا صلة بينه وبين الحياة الأدبية، وأضفنا إليها أبوابًا بحث عنها القدماء من النقاد في إجمال ، ويبحث عنها المحدثون في كثيرٍ من التفصيل ، وقد أُهملت في البلاغة الرسمية إهمالا تاما.

وقررت اللجنة أن البلاغة يجب أن تدرس كما يأتي:

أ– معنى البلاغة والغرض منها.

ب– الأسلوب: معناه، اختلاف الأساليب باختلاف الكتاب والشعراء، نماذج من أساليب مختلفة كابن المقفع والجاحظ وبديع الزمان وابن خلدون، وبعض المحدثين الشعراء كبشار وأبي تمام وابن الرومي والبهاء زهير– الإيجاز والإطناب والمساواة– الفرق بين الأسلوب الأدبي والأسلوب العلمي.

---

(١) – نشر هذا التقرير في صحيفة دار العلوم ، عدد شهر أكتوبر ، عام : ١٩٣٨م ص ٥٦:٥٨.

جـ – أهم الموضوعات الأدبية :

١- الوصف: شروط جودته، استعراض لوصف جيد ووصف غير جيد.

٢- المقالة: معناها ، شروط جودتها، نماذج منها.

٣- القصص: معناه ، أنواعه ، شروط جودته ، نماذج منه .

٤- الخطابة: معناها ، شروط جودتها، نماذج منها.

٥- تراجم الأشخاص: شروط جودتها، نماذج منها.

د – الشعر والنثر والفرق بينهما:

الشعر: شرح لمعنى البيت والقصيدة والقافية ، إلمامة بمعنى الوزن في الشعر ، لغة الشعر ، خياله ، موضوعاته ، أوصاف الشعر الجيد.

النثر: لغته ، موضوعاته ، أوصاف النثر الجيد .

هـ – الكلمة: بم تفضل كلمة كلمة في الموضوع الواحد، دقة استعمال الكلمة، جمالها، ملاءمتها لموضوعها ، دلالتها بالوضع وبالالتزام.

و – الجملة: تقسيمها إلى خبر وإنشاء ، وأغراضها البلاغية – التقديم والتأخير – الفصول " الفقر" معناها ، علاقة الفقر بالموضوع ، علاقة الفقر بعضها ببعض ، وحدة الموضوع: في الشعر ، في المقالة ، في الرواية – التشبيه والاستعارة : معناهما، الفرق بينهما ، متى يحسنان – الكناية – نماذج كثيرة من التشبيه والاستعارة والكناية ونقدها– المحسنات البديعية : نماذج منها ، متى تحسن ، ومتى لا تحسن من ناحية الكم ومن ناحية الكيف".

تحليل ونقد منهج وزارة المعارف:

أول ما نلاحظه في تقرير هذه اللجنة هو التقليل من شأن البلاغة وعدم الاعتداد بها في بناء الأجيال وتهذيب أذواقهم وتنمية ملكاتهم اللغوية ، وذلك واضح في قولهم: إن العرب قد استطاعوا أن يستغنوا عن البلاغة ويعيشوا بدونها عصرًا طويلا هو من أزهى عصور الحياة الأدبية وأروعها ...

إن كانوا يقصدون العصر الجاهلي فحقيق أن العرب في العصر الجاهلي قد عاشوا أزهى عصور الحياة الأدبية دون حاجة لقواعد البلاغة ، لأن البلاغة عندهم كانت مَلَكَةً ، والبيان فطرة وطَبعًا ، فهم ليسوا في حاجة لها؛ لأنهم أرباب الفصاحة والبيان ، وهم نمط خاص لا يُقاس عليه ، أما نحن ففي عصر العجمة والغزو الثقافي والفكري إن قررنا الاستغناء عن البلاغة وعلومها فمن أين يستقي الأدباء القواعد التي يتبعونها في تنظيم أفكارهم وترتيبها ، واختيار ألفاظهم والتأليف بينها؟! ومن أين يطلع النقاد على الأسس الجمالية التي يُستعينوا بها في الحكم على قيمة أي عمل أدبي؟!

وقد أثرتْ هذه الرؤية القاصرة على وضع المنهج البلاغي المقترح ، فلم نجد فيه إلا الإغفال التام لعلوم البلاغة جملة ، فلم يرد من فنونها سوى التقديم والتأخير، والتشبيه والاستعارة والكناية ، وبعض فنون البديع ، وكأن البلاغة اختُزلت في هذه المباحث ، فلم نعثر في هذا المخطط على إشارة للحديث عن أحوال المسند والمسند إليه والقصر والفصل والوصل وغير ذلك من مباحث علم المعاني ، كذا الحال بالنسبة للمجاز المرسل لم نجد له ذكرًا مع أنه أحد الأركان الأساسية التي يقوم عليها علم البيان ، فضلا عن أن ما ذُكر من فنون بلاغية في هذا المخطط ورد مشتتا لا ضابط له ، فقد ذُكر التقديم والتأخير ثم وحدة الموضوع في الشعر وفي المقالة وفي الرواية ، ثم التشبيه والاستعارة والكناية ، ولم أجد لهذا الترتيب علة ولا هدفا.

كما أدرجت اللجنة في هذا المخطط مباحث لا علاقة لها بالبلاغة ، كالخطابة والشعر والنثر وتراجم الأشخاص ، والشعر والنثر والفرق بينهما ، فهي مباحث أدبية خالصة ، ولا شك أن هذا يلغى خصوصية البلاغة ويخلط مباحثها بمباحث الأدب.

منهج الأستاذ أحمد الشايب

قام الأستاذ الشايب بمحاولة منهجية جادة في تطوير الدرس البلاغي تمثلت في كتابه الأسلوب" الذي حاول فيه وضع تصور جديد لدراسة البلاغة العربية يتلاءم مع ما انتهت إليه الحركة الأدبية في ناحيتها: العلمية والإنشائية.

وكان من أهم دوافعه للتجديد رفضه للتقسيم الثلاثي لعلوم البلاغة العربية بدعوى أنه يضيق عن استيعاب أصول البلاغة وميادين البحث البلاغي، ولا يتسع لخدمة الأدب ومسايرة تطوره في أساليبه وفنونه ، حيث يقول: " إن الدراسة النظرية للبلاغة العربية انتهت عند المتقدمين إلى علوم المعاني والبيان والبديع، يدرسون في الأول الجملة منفصلة أو متصلة ، ويدرسون في الأخيرين الصورة بسيطة أو مركبة من تشبيه ومجاز وكناية وحسن تعليل، مع توابع أخرى في علم البديع ، وهذه الدراسات على خطرها لا تستوعب أصول البلاغة كما يجب أن تكون ؛ لتساير الأدب الإنشائي في أساليبه وفنونه"(١) فالبلاغة في نظره أعم وأشمل مما انتهت إليه في التقسيم الثلاثي الذي لا يخرج في جملته عن الجملة والصورة الجزئية على حد قوله.

كما أخذ الشايب على البلاغة العربية إغفالها للناحية النفسية واهتمامها بالجانب الإقناعي ، حيث يقول: "أما عن غاية البلاغة فليس المراد من الكلام وقفاً على تغذية الفكر وحده، فهناك قوى نفسية أخرى تعني البلاغة بها... ولا نقول إن الأدب العربي قصَّر في ذلك ، وإنما نقول إن الدراسة النظرية فيما انتهت إليه هي التي ضاقت عن العناية بهذه المواهب النفسية"(٢).

وقد أثرت هذه الرؤية في كثير من طلابه ، وتلقاه كثير منهم بالرضا والقبول ، فهذا شكري عياد يسير على درب أستاذه ، ويسبح في فلكه ويقول: "

(١) الأسلوب: أحمد الشايب:٣- مكتبة النهضة المصرية- الطبعة: الثانية عشرة ٢٠٠٣م.
(٢) المرجع السابق:٢١.

إن البلاغيين أنشئوا علمهم في ظل سيادة المنطق على التفكير العلمي لخدمة الخطابة أكثر من خدمة الفن الشعري، وبناءً على ذلك تعد الحالة العقلية للمخاطب أهم عنصر في ظروف القول عندهم . أما علم الأسلوب فقد نشأ في ظل ازدهار علم النفس الذي عني بالجانب الوجداني أكثر مما عني بالجانب العقلي، لذلك نجد الوقف: في علم الأسلوب أشد تعقيداً من مقتضى الحال لكونه يشتمل على المنشأ، والجنس، والسن، والبيئة، والمركز الاجتماعي، والشخصية، والمزاج"(١).

كما يأخذ الشايب على البلاغة العربية إهمالها لبعض مستويات التحليل الأسلوبي فيقول: "وأما عن الوسيلة فلم تكن اللغة العربية محصورة في الصورة والجملة وحدهما، فهناك الحرف والكلمة والعبارة والأسلوب عامة... مما أهملته هذه الدراسة– أو العلوم البلاغية– في اللغة حسبما انتهى إليه وضعها الأخير"(٢).

لذا رفض الشايب التقسيم الثلاثي للبلاغة العربية ، ورأى أن علم البلاغة يجب أن يوضع وضعًا جديدًا يتلاءم مع ما انتهت إليه الحركة الأدبية في ناحيتيها العلمية والإنشائية ، بحيث يدخل علم البلاغة في باب الأسلوب، ويتناول دراسة: الحروف، والكلمات، والجمل، والصور، والفقرات، والعبارات، على أن تدرس درسًا مفصلًا دقيقًا يعتمد على علم الصوت، والنفس، والموسيقى وما إليها مما يقَوِّم الأسلوب على أنه صورة فنية أدبية، وفي هذا الباب تدخل موضوعات المعاني والبيان والبديع، لا على أنها علوم مستقلة، بل على أنها فصول في باب الأسلوب يتناول بحوثها كما يتناول غيرها. كما

(١) مدخل إلى علم الأسلوب: د/ شكري عياد:٤٦: ٤٧.– المشروع للطباعة:١٤١٣هـ – ١٩٩٢م،

(٢) الأسلوب: أحمد الشايب: ١٢.

يرى أنه لا حاجة بنا مطلقًا إلى هذه الأسماء العلمية: كالمعاني، والبيان، والبديع، التي تطلق على نقط جزئية لا تستوجب هذه العنوانات"[١].

وبناء على هذه الرؤية فإن البلاغة عنده قد انحصرت في بابين : الأسلوب، والفنون الأدبية، وقال توضيحًا لذلك:

١- الأسلوب Style وفي هذا القسم من علم البلاغة ندرس القواعد التي إذا اتبعت كان التعبير بليغًا أي واضحًا مؤثرًا ، فندرس الكلمة ، والصورة والجملة والفقرة والعبارة والأسلوب من حيث أنواعه وعناصره وصفاته ومقوماته وموسيقاه، وقد يجد الطالب في هذا الدرس شيئا من التفاصيل المحتاجة إلى أناة وصبر لكنها خطيرة النتائج في فن البيان.

وفي هذا القسم نضع البلاغة العربية ، فعلم المعاني يدخل كله في بحث الجملة وعلم البيان وأغلب البديع يدخل في باب الصورة، وتبقى المباحث الأخرى مهملة في هذه الكتب التي انتهت إليها الدراسة البلاغية، نعم إنك واجد بلا شك في كتب الأقدمين كالصناعتين، ودلائل الإعجاز، وأسرار البلاغة، والمثل السائر مباحث قيمة تتصل بالعبارة من الناحية الفنية العامة ولكنها غير مستوفاة ولا منظمة.

٢- الفنون الأدبية وقد تسمى قسم الابتكار Invention وهنا ندرس مادة الكلام من حيث اختيارها وتقسيمها وقسميها وما يلائم كل فن من الفنون الأدبية، وقواعد هذه الفنون كالقصة والمقالة والوصف والرسالة والمناظرة والتاريخ وليلاحظ أن الدراسة هنا شكلية كذلك فهي لا تخلق المادة للطالب ولا تعد له الأفكار والآراء؛ فذلك من عمل الطالب وقراءته الخاصة وتجاربه الحيوية التي تمده بالآراء وتكشف له عن الحقائق، وعلى البلاغة أن تشير

(١) المرجع السابق: ٣.

فقط إلى ما يتبع في تأليف المعاني وتنظيم الفنون أقسامًا لتنتج الآثار المرجوة.(١)

كما يرى الشايب أن البلاغة بتقسيمها الثلاثي تميل في جملتها إلى الناحية الشكلية أو الأسلوبية ، فهي لن تتعرض لقيمة الفكرة ، بل لملاءمتها ، ولا تخلقها لكن تنسقها وهي تعنى كثيرًا بالعبارات والأساليب حتى إن بعض الباحثين يطلق عليها كلمة الأسلوب ، كما يجد الشايب البلاغة قاصرة في قسم الفنون الأدبية إلا فقرات مفرقة أو فصول درست لأغراض غير أدبية كما في آداب البحث والمناظرة.

وقد قام الشايب بالموازنة بين أبحاث البلاغة كما دونتها الكتب العربية الأخيرة وبين موضوعها كما يجب أن يكون ، وتوصل لنتائج أهمها ما يأتي:

١- إن نصف البلاغة النظرية مفقودة في اللغة، أكثره في قسم الفنون الأدبية، وباقية في باب الأسلوب.

٢- إن شطرًا من الأسلوب قد درس تحت عنوان المعاني والبيان والبديع وهو شطر على خطورته يعوزه التنسيق، ولا حاجة بنا الآن إلى هذه الأسماء التي تسمى علومًا خاصة لأنها فصول بلاغية يسيره.

٣- إن البلاغة العربية في حاجة إلى وضع علمي جديد يشمل هذه الأبواب والفنون التي أشرنا إليها، ويصل بينها وبين الطبيعة الإنسانية لملابستها الزمانية والمكانية، حتى يخدم الأدب، وذلك كله غير البحث التاريخي الذي يفرد له درس خاص.

٤- إن الأدباء هم أولى الناس بدرس البلاغة حتى يخلصوها من أساليب الفلاسفة ومذاهبهم وألغازهم فذلك هو الذي أفسد بلاغتنا وحولها بحوثًا لفظية عقيمة أشبه بالرياضة والكيمياء.

(١) المرجع السابق نفسه :٢٧ مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة: الثانية عشرة ٢٠٠٣م.

تحليل ونقد منهج الأستاذ الشايب:

عرضت فيما سبق منهج الأستاذ الشايب في تطوير وتجديد الدرس البلاغي ، ولا شك أنها محاولة جادة لها إيجابيات كثيرة ، أهمها: سعيه الحثيث لربط البلاغة العربية بالدرس الأدبي المعاصر ، والبحث عن مجالات جديدة لما يمكن أن تتسع له البلاغة العربية ، ومس موضوعات عظيمة الفائدة وإن اتسمت معالجته لها بالإيجاز والاقتضاب ، وهذا شأن كل شيء في بداياته ، كما ظهرت أصالته في حرصه على تقديم شواهده كلها من الأدب العربي عبر مختلف العصور ، فالكتاب ظهر عربي الصورة والهيئة والسمات.

وقد تعرض كتاب الأسلوب لمجموعة من الانتقادات المتتابعة ، أولها كان من الدكتور علي العماري فقد تناول كتاب الأسلوب بالنقد اللاذع في مقال له بمجلة الرسالة قال فيه : "والذي نراه أن الأستاذ الشايب عمد إلى جهات ثلاث فاختطف منها كتابه.

١- ترسم خطى أرسطو في خطابته ، فقد تحدث هذا عن الأسلوب وقيمته ووضوحه وصفاته الخاصة، والشروط العامة للأسلوب، وفتور الأسلوب وسلامته وشروط ذلك ، وشرح ثراء الأسلوب وبسطته ووسائط ذلك ، كما بين الأسلوب الكتابي والأسلوب الخطابي والأسلوب الشعري والأسلوب النثري وتحدث عن اختلاف الأسلوب باختلافات الموضوعات وغير ذلك.

٢- سطا على أبحاث المتقدمين من أمثال عبد القاهر والجاحظ وقدامة وابن رشيق والآمدى وصاحب المثل الثائر والقلقشندي فاختطفها اختطافا، وحسبك أن ترجع إلى ما كتبه العمدة عن فنون الشعر، وما كتبه قدامة في نعت الوصف ونعت الهجاء ونعت الرثاء ونعت المديح ونعت التشبيه، ثم تقرأ كلام الأستاذ الشايب فسوف تعتقد معي أن المسألة كما يقولون (حذو القذة بالقذة). وأما عبد القاهر فأمره معروف فقد كتب كتابا خاصا في

النظم الذي يسميه الأستاذ (الأسلوب) قال (للخفة والشيوع) والجاحظ كتب عن صحة المعاني وفسادها ومناسبتها للألفاظ، وحسبنا هنا الإشارة.

٣- الغربيون - كما يقول الشيخ أمين - يعنون في البلاغة بدراسة الأسلوب، ويقول غير مرة إن هذه الأبحاث التي يدعو إليها - وهي قوام كتاب الأستاذ الشايب - مما عنى به الغربيون عناية تامة، ويخص بالذكر كتاب الأسلوب الإيطالي للباريني.

وأعتقد أنا لو حذفنا منه الأبحاث القديمة العربية لبقى الكتاب أبيض مغسولا. على أنه فوق ذلك كتاب وصفي وعمل البلاغة إنما هو وضع القوانين التي إذا ترسمها الأديب استطاع أن ينشئ، وهذا الكتاب في أكثر مباحثه أشد صلة بأدب اللغة منه بالبلاغة، وإن ذكر مؤلفه أنه وضعه في البلاغة، وقدم له بأبحاث فيها"(١).

هذا نقد الدكتور العماري لكتاب الأسلوب ، وكنت أتمنى أن أقرأ نقدًا موضعيًا، وأتمتع بمناقشة جادة للخطة والمنهج والمحتوى تتناسب مع مقام العماري وعلمه وثقافته، لكنني وجدته محتدًا على الشايب ، يتهمه بالسطو والسرقة، وينفي عنه صفة التجديد؛ لأن نظرة العماري للتجديد كانت منحصرة على الإتيان بالجديد فحسب، والحق أنه لا جديد يأتي من العدم ، بل لابد لكل من يحاول التجديد أن يعتمد على تراث أمته وعلى جهود من سبقه في مجاله ، يحذف ويضيف ، ويعدل ويهذب حتى يبلغ التجديد الذي يسعى إليه ، كما أنه من التجديد أيضا مناقشة أراء السابقين وتقييمها ومحاولة الإضافة عليها حتى نصل لرسم منهج جديد لتطوير الدرس البلاغي... كل ذلك من التجديد.

(١) مقال بعنوان: علوم البلاغة في الجامعة للأستاذ علي العماري: مجلة الرسالة العدد: ٧٠٣ بتاريخ: ٢٣ / ١٢ / ١٩٤٦م - ص ١٤٢١.

لكنني أتفق مع الأستاذ العماري في قوله: إن كتاب الأسلوب وصفي وعمل البلاغة إنما هو وضع القوانين التي إذا ترسمها الأديب استطاع أن ينشئ، وهذا الكتاب في أكثر مباحثه أشد صلة بأدب اللغة منه بالبلاغة ، وإن ذكر مؤلفه أنه وضعه في البلاغة، وقدم له بأبحاث فيها .

وتناول الدكتور بدوي طبانة كتاب الأسلوب بالنقد أيضا ، وأخذ عليه أنه "جاء مقتضبا لم يتناسب مع ما أثاره المؤلف فيه من موضوعات ، ويحتاج إلى كتاب آخر يحقق ما ينشده من التوضيح والسعة والشمول حتى يكون أصلاً يعتمد عليه في الدراسات البلاغية الحديثة، ويفتح مجالاتها"(١)

كما تعجب الدكتور شكري عياد من "أن دراسة الأسلوب لدى الشايب تتضمن تعليمه، وفي الوقت نفسه يعني الفردية والذاتية مما يطرح تساؤلًا عن كيفية تعليم الأسلوب ، أو بعبارة أخرى : إذا كانت التجربة الإنسانية هي معيار الفكرة، والعاطفة والخيال ، فكيف سيتم تعليم الأسلوب؟

وانتهى عياد إلى أن ملامح التجديد عنده لا تعدو الإشارة إلى مجموعة من الأمور المبهمة التي لا يقوم عليها علم كنَفَس الكاتب ووجدانه، وما فيهما من خيال ، وتصور وموسيقى ، هذا بالإضافة إلى أنه قد جعل عمل الناقد فنيًا ، وعمل المنشئ نوعًا من العلم التطبيقي"(٢).

وإنني أرى أن ما سجله الأستاذان بدوي طبانة وشفيع السيد من مآخذ على الكتاب لا تعد مآخذ جوهرية ذات بال ؛ لأنهم لو أحسنوا قراءة الكتاب لوجدوا أن الشايب نفسه قد أقر بما ذكراه من ملاحظات وتعليقات فقد قال في كتابه:" ولست أدعى أني أفعل شيئًا من ذلك في هذه الفصول وحسبي أمران:

الأول: هذه الإشارة إلى ما يجب أن ننهض به.

---

(١) البيان العربي: د/ بدوي طبانة: ٤١٥

(٢) اللغة والإبداع مبادئ علم الأسلوب العربي: شكري عياد: ٢٨ ، الطبعة الأولى ١٩٨٨م.

الثاني: أني تناولت الأسلوب من بعض نواحيه العامة فاتخذت الدرس فاتحة لمواصلة البحث علنا ننتهي إلى وضع علم البلاغة العربية".

كما تصدى الدكتور محمد عبد المطلب لنقد كتاب الأسلوب وأقر بأنه "لقى رواجا كبيرا وقبولًا حسنا لدى معلمي اللغة العربية في مدارسنا – على وجه الخصوص– حتى أصبح منهجه في فهم الأسلوب ، وتحليل النصوص دستورا لهم ، يطبقونه نظريا وعمليا في الشرح والدرس والتأليف ، وقد أدى ذلك – بوعي أو دون وعي– إلى ما نراه في الدرس الأدبي للطلاب من تمزيق للنص ، وإخراج أمعائه دون أن يقع الطالب على الجماليات الحقيقية الكامنة في التعبير"(١).

لكن الدكتور إبراهيم عبد الجواد وقف موقفا وسطا في نقد الكتاب ، فأشار إلى بعض مناقبه كجمعه بين أثر المبدع وأثر الموضوع ، وأثر العبارة اللغوية في تشكيل الأسلوب، وغير ذلك من محاسن الكتاب ، لكنه أخذ عليه عدم المنهجية في كثير من مواطن الكتاب ، ومنها حين قرر أن الاختلاف بين الشعر والنثر يكمن في أن النثر يغلب عليه صفة الإفادة ، والشعر تسوده صفة التأثير ، وقال معلقا على ذلك: " ويبدو أن في هذا نوعًا من عدم المنهجية فهل الشعر الذي يخاطب العقل لا المشاعر كبعض شعر المعري والمتنبي يخرج من دائرة الشعر ؟ ثم ماذا عن النصوص النثرية التي تخاطب الوجدان الإنساني، ومصبوغة بالانفعالية ، أتخرج من دائرة النثر؟.

كما رأى أن الشايب كان متأثرًا في كثير من آرائه ببعض معاصريه، كتأثره بأحمد أمين في تمييزه بين الأسلوب العلمي والأسلوب الأدبي، وذلك على أساس توافر بعض الخواص في كل منهما"(٢).

---

(١) البلاغة والأسلوبية : د– محمد عبد المطلب : ١١٧، مكتبة لبنان ، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، مصر ، الطبعة الأولى : ١٩٩٤م.

(٢) ينظر: الاتجاهات الأسلوبية في النقد العربي الحديث: د إبراهيم عبد الجواد–٨٩:٩٢ طبعة عمان الأردن– الطبعة الأولى:١٩٩٧م.

ومن الأمور الجديرة بالملاحظة أيضا أن كتاب الأسلوب في مجمله أقرب للنصح والتوجيه منه إلى البحث العلمي، كما أن الشايب قد أشار إلى أن موضوعات المعاني والبيان والبديع ينبغي أن توظف في دراسة البلاغة على أنها فصول في باب الأسلوب، لا على أنها علوم مستقلة ، لكنني لم أجد أي توظيف لتلك العلوم في كتابه، وهذا يتنافى مع ما ذكره في مقدمة كتابه.

فضلا عن أن ما توصل إليه الشايب من تصور لدراسة البلاغة العربية يتشابه كثيرا أو يكاد يكون متطابقا مع ما أوصت به اللجنة التي شكلتها وزارة المعارف عام ١٩٣٨م بشأن تيسير دراسة النحو والصرف والبلاغة، والتي كانت مكونة من: (طه حسين ، وأحمد أمين ، وعلي الجارم، وإبراهيم مصطفى، وعبد المجيد الشافعي، ومحمد أبو بكر إبراهيم) والأستاذ الشايب قد أصدر كتابه عام ١٩٣٩م ، ولست في هذا المقام برامٍ للأستاذ الشايب بالاختطاف والسرقة، لكن لا شك أنه قد اطلع علي هذا التقرير، وتأثر به، واستقى منه، وحاول تطبيقه على أرض الواقع.

ومع كثرة الانتقادات التي وجهت للكتاب وصاحبه ، إلا أن هذا لا ينفي أن الشايب قد حاول أن يرسم أصول منهج جديد في تناول البلاغة العربية، وكان له جهد يُذكَر فيُشكر في محاولة توسيع ميادين البحث البلاغي، وإن لم يتحقق ما يصبو إليه ولم يؤت ثماره فحسبه أنه فتح الباب ومهد الطريق.

منهج الدكتور أحمد مصطفى المراغي

يعد الدكتور أحمد مصطفى المراغي من أهم الداعين لتجديد البلاغة العربية في العصر الحديث، وقد انتقد التقسيمَ الثلاثي لعلوم البلاغة في كتابه:(تاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها) وقال:" لا نعلم أحدًا سبق السكاكي إلى قسمة علوم الفصاحة الأقسام الثلاثة المعروفة ، ولا نرى لهذا التقسيم وجها صحيحًا ولا مستندًا من رواية ولا دراية ؛ فليس هناك جهة للتمايز تفصل كل علم عن قسيمه ، ولا في أغراض كل علم ولا في موضوعه ما يجعله وحدة مستقلة عن العلمين الآخرين في بحوثه ومسائله حتى يمكن الناظر أن يقتنع بوجاهة هذا التقسيم ويبرهن على صحته ، بل على العكس نرى بينهما اتصالا وثيقا في الأغراض والمقاصد ، واتحادا في جهة البحث ، فلا يمكن فصل بعضها من بعض ، وإن أمكن فعلى نحو آخر غير ما ذكره السكاكي ومن اقتفوا أثره وساروا على سننه دون أن يدلوا بحجة ناصعة"[(١)]

وقد احتج المراغي على فساد التقسيم الثلاثي من جهة الرواية بوجوه:

١- أن المتقدمين الذين كتبوا قبل السكاكي كأبي هلال في الصناعتين وابن سنان الخفاجي في سر الفصاحة وعبد القاهر في كتابيه دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة ، لم ينحوا هذا النحو الذي نحاه ، فإن الأول جعل كتابه عشرة أبواب مشتملة على ثلاثة وخمسين فصلا... والثاني تكلم عن الفصاحة والبلاغة ، وشروط الفصاحة في اللفظ المفرد ، وفصاحة المركب وشروطها، كما تحدث عن الإيجاز والفرق بين المنظوم والمنثور ، وعبد القاهر تكلم عن كثير من أبواب علم المعاني بحسب اصطلاح السكاكي ، وعلى بعض أبواب من البيان كالكناية

(١) تاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها: أحمد مصطفى المراغي: ١١١ مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الأولى ١٣٦٩هـ - ١٩٥٠م.

والاستعارة والتمثيل، وعلى بعض أنواع من البديع فتكلم عن المزاوجة وصحة التقسيم والجمع، وسمى الجميع بيانا.

٢- أن الزمخشري: وهو من هو في علو كعبه في البلاغة كثيرا ما يسمي هذه العلوم بالبيان، وأحيانا يسميها بالبديع، إذ يقول عند الكلام على قوله تعالى: ﴿فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٦] إنه من الصنعة البديعية.

٣- أن عبد الله بن المعتز، وقدامة بن جعفر، وصاحب الصناعتين، وابن رشيق في العمدة أدخلوا في البديع مباحث البيان؛ فجعلوا من البديع الاستعارة والمجاز والكناية والتعريض، وكذا عبد القاهر في أسرار البلاغة؛ إذ يقول: "وأما التطبيق والاستعارة وسائر أقسام البديع ..."[(١)].

٤- أن في قول الخطيب القزويني في التلخيص: وكثير من الناس يسمى الجميع علم البيان ، وفي قول شراحه لما في كل من معناه اللغوي وهو الظهور، وقوله : ومنهم من يسمي الأخيرين علم البيان أي كما وقع للزمخشري في الكشاف ، وقوله: والثلاثة علم البديع أي: كما يستعمله صاحب الكشاف كثيرا في تفسيره- دليلا على أن التقسيم إلى معان وبيان وبديع لم يقل به أحد قبل السكاكي ، إذ لم يصرح بعزوه لأحد.[(٢)]

هذا ما استدل به المراغي على فساد التقسيم الثلاثي من جهة الرواية ، وسأتوقف معه بالتحليل والنقد بعد استكمال أدلته التي ذكرها لفساد التقسيم الثلاثي من جهة الدراية وتتمثل فيما يأتي:

---

(١) أسرار البلاغة: للإمام عبد القاهر الجرجاني:١٤ ت: محمود محمد شاكر- مطبعة المدني بالقاهرة ، دار المدني بجدة ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.

(٢) تاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها: أحمد مصطفى المراغي: ١١٥.

١- أن الثمرة المستفادة من علم المعاني وهي معرفة أحوال اللفظ التي بها يطابق مقتضى الحال تستفاد أيضا من علم البيان والبديع ، فالمطابقة لمقتضى الحال مطلوبة في كل العلوم.

٢- أن مباحث هذه العلوم ليست متمايزة ، فبعض المؤلفين أدخل المجاز العقلي في علم البيان ، بينما غيرهم أدخله في المعاني ، كذلك نجد جماعة أدخلوا التذييل والاحتراس والاعتراض والحشو في البديع ، وأدمجه غيرهم في المعاني وجعلوه أقساما للإطناب ، فلو كان هناك حدود واضحة تميز قسما من قسم لما جاء مثل هذا الاختلاط والارتباك في تفريع هذه المسائل ووضعها في المواضع المناسبة لها.

٣- أن من العجب حقا أن تكون فوائد معرفة علم المعاني معرفة أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق مقتضى الحال ، فنعرف المواضع التي يكون فيها الإيجاز، والتي يكون فيها الاطناب... ولم يكن من فائدته أن ننشيء كلاما مشتملا على الخصوصيات التي تعلمناها من هذا العلم ، بينما نقول إن من فائدة معرفة علم البيان أننا نستطيع أن نعبر عن المعنى الواحد بأساليب مختلفة ؛ وإذا ففائدة معرفة هذا العلم إيجابية ، وهي القدرة على إنشاء الكلام العربي الفصيح ، ولكن فائدة معرفة علم المعاني هي مجرد المعرفة فقط ، ويكون ذلك كافيا ؛ وإن شئنا أنشأنا كلاما فصيحا مطابقا لمقتضى الحال. وقد كان من الخير أن نجعل الفائدة من معرفة العلم الأول كالفائدة من معرفة العلم الثاني...

ولم يتوقف المراغي عند نقد التقسيم الثلاثي فحسب ، بل تجاوز ذلك إلى اقتراح منهج بديل وقسمة جديدة في تعليم البلاغة ، تتمثل في علمين متمايزين : العلم الأول يبحث عن فصاحة النظم ويُسمَى علم معاني النحو ، أو علم المعاني على سبيل الاختصار في التسمية ، والعلم الذي يبحث عن

فصاحة اللفظ، أو عن معنى المعنى بعلم البيان ، وتكون التسمية مجرد اصطلاح، وإلا فالكل بحث بياني. (١)، كما أوصى بالعودة إلى آراء الإمام عبد القاهر الجرجاني حول البلاغة العربية.

تحليل ونقد منهج المراغي:

ذكرت فيما سبق ملخصًا لأهم حجج المراغي التي ذكرها لإبطال التقسيم الثلاثي للبلاغة العربية من جهتي الرواية والدراية ، وسأتناولها بالتحليل والنقد في النقاط الآتية:

- ما استدل به المراغي على رفض التقسيم الثلاثي من أن المتقدمين الذين ألفوا في البلاغة قبل السكاكي كأبي هلال وابن سنان الخفاجي وعبد القاهر الجرجاني لم ينحوا هذا النحو الذي نحاه، دليل عجيب، ولا يمكن بأي حال أن يقوم دليلا على فساد التقسيم الثلاثي؛ لأننا إن سلمنا بهذا فلا بد أن تفتر الهمم وتتراخى العزائم ، ويردد كل الباحثين: ما ترك السابقون لنا شيئا، ويتركون البحث والتتبع، كما أن تقسيم السكاكي لعلوم البلاغة لم يكن بدعا ولا أمرا مخترعا ، بل استوحاه من كتابي الإمام عبد القاهر الجرجاني ، فقد أرسى السكاكي قواعدهما ، ورتب مسائلهما ، وضبط مصطلحاتهما، وميز أقسامهما ، وجدير بالذكر أيضا أن تقسيم البلاغة عند السكاكي لم يكن ثلاثيا في حقيقة الأمر ، بل كان ثنائيًا: معاني وبيان ، ثم أتبعهما ببعض المحسنات التي تلقفها بدر الدين بن مالك وجعل منها علما ثالثًا أطلق عليه البديع ، ثم استقرت تلك القسمة الثلاثية على يد الخطيب القزويني ومن تبعه ونهج نهجه.
- ما يتعلق بتعجب المراغي من اختلاف الفائدة من معرفة علم المعاني عنها في علم البيان، ورؤيته أن الفائدة من معرفة علم البيان إيجابية،

(١) ينظر: تاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها: أحمد مصطفى المراغي: ١١٥:١٢٠.

لأنها تشتمل على القدرة على إنشاء الكلام العربي الفصيح ، أما الفائدة من معرفة علم المعاني فقاصرة على مجرد معرفة أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق مقتضى الحال فحسب، ولم يكن من فوائده أن يُمَكِّن دارسه من إنشاء كلام بليغ مشتمل على الخصوصيات التي تعلمها من هذا العلم ، أرى أن هذا اعتراض شكلي لا يهدم بنيان التقسيم الثلاثي ولا يمسه في شيء ، وإن نصَّ الخطيب القزويني في تعريف علم المعاني على أن غايته هي معرفة أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق مقتضى الحال ، فمعرفة علم المعاني وإدراك مباحثه وقواعده هما الأساس الذي من خلاله يستطيع المتكلم أن يعبر التعبير الصحيح البليغ الذي يتناسب مع مقتضيات الأحوال ، فالمقدرة على تأليف الكلام البليغ لا تتأتي ولا تتحق إلا بعد المعرفة الدقيقة لعلم المعاني وأحواله ، هذا بالطبع بعد توفر الملكة والموهبة الفطرية ، وسعة الاطلاع على أساليب العرب وطرائقهم في التعبير، وبناء على ذلك فإن اعتراض المراغي على تعريف علم المعاني شكلي لا طائل من وراءه ، وليس له أي تأثير في إبطال التقسيم الثلاثي لعلوم البلاغة العربية.

- ما ذكره من الاختلاط والارتباك الذي نشأ من إيراد الفن الواحد في بابين مختلفين كالمجاز العقلي على سبيل المثال ، فقد أورده بعض البلاغيين في علم المعاني، والبعض الآخر ذكره في علم البيان عند الحديث عن الاستعارة المكنية، والحق خلاف ذلك ، لأن السكاكي قد سارع إلى إبطال المجاز العقلي، ورجع به إلى الاستعارة المكنية؛ وذلك رغبة منه في تقليل الأقسام، ومن تناوله بالذكر بعده لم يضعه إلا في مباحث علم المعاني، أما عن التداخل والالتباس الذي قد يحدث في بعض صور التعبير بين المجاز العقلي والاستعارة المكنية فهي شواهد قليلة إذا حُصِرَتْ، وبعد تأمل خصوصيات نظمها ودقائق

سبكها يتم حملها على الجهة الأبر بها والأكثر ملائمة لها ، والتى تكون معها أحسن موقعا ، وأقرب رحما ، وأكثر فائدة ؛ لأن كثيرا من صور المجاز العقلي إذا أجريانها على طريقة الاستعارة المكنية تشوه وجهها ، وذهب حسنها ، ونُزِعَ بهاؤها ورونقها ، والعكس كذلك ، ولا شك أن هذا ليس ضربا من الاختلاط والارتباك بل هو عين الدقة ، ودليل العناية والتذوق السليم ، والحرص على أن يكون التقسيم جامعا مانعًا فيه مراعاة لكافة الفروق.

وبالرغم من تفنيد حجج المراغي ، وإبطال كثير من دعاواه ، إلا أنه يُعد أجمع نقد وأخصره في هذا المجال ، ولا يزال يعتمد عليه أكثر من يحاول نقد وإبطال التقسيم الثلاثي للبلاغة العربية.

منهج الدكتور أحمد مطلوب

من أعلام العربية في العصر الحديث : الدكتور أحمد مطلوب ، له جهود مخلصة ومحاولات جادة في سبيل تجديد وتطوير البلاغة العربية لا ينكرها إلا جاحد ، وكان – رحمه الله – من أنصار العودة إلى استقراء التراث وأخذ ما فيه النفع وإنارة السبيل به ، وكان لا يقبل أي دعوة غير مبنية على أساس قوي تدعمها الحجج وواقع اللغة ، ولا يؤمن بأي مجدد يبني أصوله على الجديد وحده بحجة أن المحدثين أكثر اطلاعاً من القدماء وأوسع أفقا منهم(١).

ورأى الدكتور مطلوب أن الأزهر الشريف هو أول من حمل لواء التجديد في البلاغة العربية على يد الإمام محمد عبده ، فقد أحيا كتب السلف النافعة ، وقوم ما اعوج من مناهج التأليف وطرائق التدريس ، وانصرف إلى تدريس كتابي الإمام عبد القاهر: دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة ؛ ورأى أن هذا الصنيع قد فتَّح أذهان الطلبة ، وقوى مداركهم ومواهبهم ، وكان سببا في تخرج جيل جديد في مطلع العصر الحديث فيه عزم على البحث ، وفي روحه اندفاع إلى التجديد(٢).

كما ذهب إلى أنه من أجل نهضة بلاغية لابد من إلغاء التقسيم الثلاثي للبلاغة العربية ، واعتبارها فنا واحدا ، ثم تُبحَث موضوعاتها على وفق المستويات الثلاثة : التركيبي، والدلالي، والصوتي (٣).

وقال د مطلوب: إن السكاكي كان له أثر كبير في جمود البلاغة العربية، فقد نظر إليها من خلال هذا التقسيم الثلاثي نظرة فلسفية ، وأوقفها

---

(١) ينظر: مناهج بلاغية:٣٧٦ ، المجمع العلمي العراقي ، بغداد ، ١٤٧١هـ – ١٩٩٦م.

(٢) اتجاهات البلاغة العربية: ١٨بحث منشور في مجلة الآداب بالعراق بغداد – العدد الخامس عام ١٩٦٢م.

(٣) ينظر: تجديد البلاغة : د. أحمد مطلوب : مجلة المجمع العلمي ،ج١، مجلد٥٦، بغداد ٢٠٠٩: ٢٨،

عند ما رسمه لها، وكانت قبله مفتحة الأبواب، قابلة للزيادة والتطور. وكأن السكاكي خشى على علم البلاغة من ذلك الإطلاق الذي يجعل الحرية فيه فوضى في يوم من الأيام ، فنظر إلى هذا العلم نظرة فلسفية تحدد ما بينه وبين سائر فنون الأدب من النسبة والارتباط ، وتميزه عنه تمييزًا واضحا، وتحصر أبوابه ومباحثه حصرا عقليا حتى لا يبقى محل للخوف عليه من دعيٍّ لا يفقه الأدب ولا يعرف فنونه"(١).

وخلص مطلوب إلى أن تقسيم السكاكي للبلاغة إلى علوم ثلاثة لا أساس له ولا يمكن الأخذ به في دراستها دراسة تقوم على الذوق والمقاييس الفنية، ورأى أن خطل هذا التقسيم يتضح في أمور أهمها:

- ما يتعلق بتعريف السكاكي للمعاني ثم للبيان، يقول في المعاني: (إن علم المعاني هو تتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة وما يتصل بها من الاستحسان وغيره ليحترز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره) وتتبع خواص تراكيب الكلام ليس مختصًا بعلم المعاني وحده ، وإنما يشمل علم البيان أيضا ، بل إن تتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة وما يتصل بها من الاستحسان وغيره من عمل البياني لأنه هو الذي يتتبع خواص تراكيب الكلام. وكل أسلوب من الأساليب له خاصة تدل على المقصود به ، ولا فرق بين مباحث المعاني كما حصرها ، وبين مباحث البيان كما حصرها أيضا ، فللأساليب الخبرية دلالتها ، وللأساليب الانشائية دلالتها ، ولكل من التقديم والتأخير دلالته ، كما أن لأساليب التشبيه والاستعارة والكناية وغيرها من موضوعات البيان دلالتها أيضا من الكشف والإيضاح أو المبالغة والتوكيد ، أو الستر والإخفاء إلى غيرها من

(١) البلاغة عند السكاكي: د. أحمد مطلوب : ١٢٣– منشورات مكتبة النهضة بغداد، بمساعدة جامعة بغداد– الطبعة الأولى: ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤م.

الأغـراض ، وكـذلك الاستحسـان والاسـتهجان يصـدق علـى جميـع موضوعات البلاغة.

وكذلك تعريف علم البيان لا يخص علم البيان وحده ، وإنما يشمل المعاني أيضا ، فمطابقة الكلام لمقتضى الحال تشمل مباحث البلاغة كلها ، وتتبع خواص تراكيب الكلام لا تخص نوعًا واحدًا من أقسام البلاغة ، وعلى هذا فلا فائدة في تقسيم البلاغة هذا التقسيم المنطقي ما دام كل من المعاني والبيان والبديع يشترك في الخصائص المتقدمة.

- من خطل هذا التقسيم عدم استقرار موضوعات البلاغة فيه ، فيُذكر فـي علـم المعـاني مباحـث مـن علـم البـديع ، ويـذكر فـي علـم البيـان موضـوعات فـي علـم المعـاني ، وقـد كـان المتقـدمون أوضـح منهجـا وأكثر دقة منه؛ لأنهم لم ينظروا إلى البلاغة وفنونها نظرة عقلية فيها التحديد والتقسيم، لذلك نرى أنه لا وجه لهذا التقسيم الذي لم تستقر فيه بحوثه وموضوعاته، ونرى أن بحث البلاغة ينبغي أن ينظر إليه نظرة أخرى تعتمد على الذوق الأدبي والإحساس الفني أكثر من اعتمادها على المنطق وعلم الكلام ، فتُحذَف الموضوعات التي لا علاقة لها بـالفن الأدبـي ، وتثبـت البحـوث التـي لهـا قيمتهـا وأثرهـا فـي تقـويم الأدب.(١)

وقد أجمل مطلوب منهجه المقترح في النقاط الآتية:

١- إلغـاء التقسـيم الثلاثـي وجعـل البلاغـة قسـما واحـدا ، وبحـث موضـوعاتها مسـتقلة أو بحـث مسـتوياتها الثلاثـة : الصـوتي ، والتركيبي ، والدلالي وهي :علم المعاني وعلم البيان وعلم البديع بعد تجريدها مما علق بها من مباحث أبعدتها عن هدفها ، وتذوق الأدب الرفيع.

(١) البلاغة عند السكاكي: ١٣٣:١٣٤

٢- الاهتمام بدراسة المستوى الصوتي للألفاظ و دلالاتها ؛ لأنها النواة الأولى للكلام ، ولا يغني ما جاء عن الفصاحة في كتب المتقدمين كثيرا.

٣- البحث في الفقرة ، والقطعة الأدبية ، والأساليب المختلفة ، وليس الوقوف عند الجملة أو الجملتين حينما يحدث بينهما فصل أو وصل ، وما إلى ذلك مما وقف عنده القدماء.

٤- التقليل من التقسيمات والتفريعات الكثيرة التي يضل الدارس فيها، فيمكن رد الاستعارة – التي وصلت أقسامها إلى ثمانية وثلاثين نوعاً – إلى نوعين : تصريحية ومكنية . أما أقسام الجناس التي وصلت إلى اثنين وستين نوعاً فيمكن إرجاعها إلى نوعين : تام وناقص . ومثلها المحسنات اللفظية والمعنوية إذ يمكن جمع المتشابهات منها في نوع واحد .

٥- توحيد المصطلحات والأخذ بأكثرها دلالة على الفن البلاغي، وترك الأسماء المتعددة التي تبلبل الأفكار وتوقع في الاضطراب.

٦- تخلية البلاغة مما علق بها من مصطلحات ومسائل بعيدة عن روحها لتبقى خالصة للفن الرفيع.

٧- تحلية البلاغة بما استجد من دراسات بلاغية، ونقدية، وأدبية، ونفسية، على أن لا تطغي عليها كما طغت مباحث الفلسفة والمنطق وعلم الكلام على بلاغة القدماء.

٨- الاهتمام بعرض الفنون عرضاً أدبياً، وكتابتها بأسلوب رفيع يثير المشاعر، ويحرك النفوس قبل أن ينفذ إلى العقول فتدركه؛ لأن البلاغة فن مرتبط بالأدب قبل كل شيء، والأدب مشاعر وأحاسيس، ثم هي علم يدركه العقل بعد التأمل والتدقيق ، أي أنها فن من جانب ، وعلم من جانب آخر، ولكن الغلبة للجانب الأول؛ لأنه أقرب إلى طبيعة فن القول.

٩- اختيار النصوص الأدبية وتلمس البلاغة فيما استجد من فنون أدبية تعبر عن الحياة المعاصرة ، ولكي تستمر البلاغة في الازدهار لابد من أن ترتبط بالجديد من الآداب ، وأن تقبس من أنوارها لتشع على الدارسين.

١٠- تحليل النصوص تحليلاً أدبياً يعتمد على الإدراك والإحساس الروحاني ، والابتعاد عن التحليل الذي يعقدها ويجعلها طلاسم كما يفعل بعض المحدثين حينما يسلكون سبلاً تبعد عن التحليل الأدبي وتذوق الفن.(١)

تحليل ونقد منهج الدكتور أحمد مطلوب:

بعد عرض أهم ملامح التطوير والتجديد التي اقترحها الدكتور أحمد مطلوب ، سأتناول الآن محاولته ومنهجه المقترح بالتحليل والنقد ، وسيكون ذلك في نقاط:

- ظهر جليًا تأثره بالشيخ أمين الخولي في كثير من آرائه وأفكاره ، وخاصة في رفضه التقسيم الثلاثي للبلاغة ، وسعيه الدؤوب لإدخال المباحث الفنية والنفسية في الدرس البلاغي ، واستعارته لمصطلحي التحلية والتخلية الذي اشتهر بهما الشيخ الخولي.

- دعوته لإلغاء التقسيم الثلاثي لعلوم البلاغة: المعاني والبيان والبديع دعوة فيها نظر؛ لأن الأصل أن نسعى لتطوير تلك العلوم إن أحسسنا أنها غير متلائمة مع الحياة الأدبية المعاصرة ، وقاصرة عن استيعاب ما استجد من أساليب أو قوالب أدبية حديثة ، لا أن نتعجل ونرفضها بالكلية ، وقد جرب كثير من الباحثين المناهج النقدية الحديثة المتعددة ثم أيقنوا أن تحليل الخطاب لا بد أن يستمد أصوله من البلاغة العربية القديمة ، فعادوا إليها وأفادوا منها،

(١) تيسير البلاغة : د أحمد مطلوب: ٢٧ بحث منشور في مجلة مجمع اللغة العربية الأردني ، العدد الأول: ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.

ولا شك أن البلاغة العربية بتقسيمها الثلاثي مرنة ومطواعة ، تقبل التعديل بحذف ما أسهم في جمودها من مسائل الفلسفة والمنطق وأساليب المتكلمين، وإضافة ما يعيد لها بهاءها ورونقها ، فضلا عن أن المناهج النقدية الحديثة غامضة ومبهمة ، ودراستها لا تجدي في تطوير البلاغة العربية لاتصالها باللغات الأجنبية التي انطلقت منها وارتباطها بخصائصها وروحها وهوية أهلها، والأهم من ذلك كله أن هذه المناهج الحديثة منفصلة تماما عن القرآن الكريم وثقافتنا الإسلامية والعربية ، ونحن نعلم أن الهدف الأسمى الذي من أجْله وُضِعَت البلاغة العربية هو محاولة إدراك إعجاز القرآن الكريم وفهمه وبيانه ، فالبلاغة إذن إسلامية المولد ، قرآنية النشأة والتطور، ولا سبيل لتطويرها والنهوض بها إلا في ظلال القرآن الكريم والسنة النبوية ورُوح ديننا الحنيف ، أما الذين يسعون لتجديد البلاغة مكتفين بنقل أفكار الغربيين دون فهم أو يقظة لمحتواها، ودون وعي لما في تراثنا الخالد فهذا يُعد تشويها وإفسادا لا تطويرا وتجديدا.

– اقتراح الدكتور مطلوب بشأن تقليل التقسيمات والتفريعات التي يشق على الدارسين تحصيلها واستيعابها مقترح جيد لكنه ليس بجديد ، بل قديم عتيق انبرى له كثير من البلاغيين حتى من ساروا على نهج السكاكي والقزويني، فهذا التفتازاني يعلق على كثرة التقسيمات التي وردت في باب التشبيه فيقول: "واعلم أن أمثال هذه التقسيمات التي لا تتفرغ على أقسامها أحكام متفاوتة قليلة الجدوى ، وكأن هذا ابتهاج من السكاكي باطلاعه على اصطلاحات المتكلمين، فلله در الإمام عبد القاهر فإنه لم يزد في هذا المقام على التكثير من أمثلة أنواع التشبيهات وتحقيق اللطائف المودعة فيها"[(١)] وقال عصام الدين صاحب الأطول بعد أنْ تكلَّم عن الحواس والكيفيات

(١) المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم: سعد الدين التفتازاني: ٥٢٩ ت: د/ عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة:٢٠١٥م.

والحركات: "واعلم أنَّه لَم يفِ المصنِّف بما وعَد في ديباجة الكتاب ؛ من حذف الحشو، والتطويل والتعقيد، وسَهَا عنه في هذا المقام؛ لأنَّ هذه التقسيمات ممَّا لا نفْع لـه فـي هـذا الفـن، بـل يوجِـب تحيُّـر الأفهـام، وإيقـاع المبتـدئين فـي الظلام"(١)

لكن الدكتور مطلوب كانت لـه لمحة مشرقة وتعليق حكيم في أمر التقسيم والتبويب حيث قال : "ونحن لا ننكر على رجال البلاغة أن يبوبوا بحوثهم ويقسموها ، فالعناية بالتقسيم كانت خصلة شائعة حتى بين الجاحظ والمبرد وغيرهما من المتقدمين ، وكان من اللغويين من فاق المتكلمين في التقسيم والتبويب كالمبرد الذي يعتبر من أوائل الذين رتبوا مسائل التشبيه وقسموه إلى أربعة أقسام ، وإن المؤلف إذا لم يرتب أبواب بحثه ويهذب مسائله ويحددها فلن يكون مؤلفا ذا قيمة في عالم التأليف"(٢).

– أتفقُ مع الدكتور مطلوب في دعوته للعناية باختيار النصوص الأدبية ، وتلمس البلاغة فيما استجد من فنون أدبية تعبر عن الحياة المعاصرة، وربطها بالجديد من الآداب، لأن اختيار النصوص بعناية ومراعاة التنويع والتجديد في اختيارها، والعناية بها شرحًا وتحليلاً وتذوقًا ، وموازنتها بغيرها ، وعدم الاقتصار على موطن الشاهد فحسب ، وسبر أغوارها لإدراك ما فيها من قيمٍ معنوية وأسرار بلاغية – كل ذلك له أثر كبير في تفتيح ذهن طالب البلاغة وتوسيع معارفه وإثراء عقله ، كما أن التحليل البلاغي لما استُحدث من فنون أدبية فيه دلالة على حيوية البلاغة العربية وقدرتها على استيعاب كل جديد.

– بالنسبة لدعوته لتوحيد المصطلحات والأخذ بأكثرها دلالة على الفن البلاغي ، وترك الأسماء المتعددة التي تبلبل الأفكار وتوقع في الاضطراب ،

(١) الأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم:عصام الدين الحنفي: ١٥٤ ت: د عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية بيروت

(٢) البلاغة عند السكاكي: ١٨٠

دعوة تحتاج إلى متابعة ومثابرة لظهور هذا الأمر بجلاء خاصة في علم البديع الذي بلغت مصطلحاته ما يربو على سبعمائة مصطلح ، وهو أمر يحتاج لمزيد من الدراسات لقضايا المصطلحات البلاغية ومتابعة ظروفها البيئية والثقافية والنفسية التي مرت بها منذ نشأتها حتى استقرارها ؛ حتى نستطيع أن نجمع شتات تلك المصطلحات ، ونقطع أذناب المسميات المتعددة للفن البلاغي الواحد ، الأمر الذي شتت عقول الطلاب وأوقعهم في كثير من الاضطراب.

– دعوته لإفادة البلاغة من علم النفس، وعلم الجمال، والانتقال بالدرس البلاغي من بلاغة الجملة والشاهد والمثال إلى بلاغة النص والقطعة الأدبية الكاملة دعوة معادة ومكرورة ومأخوذة من الشيخ أمين الخولي ، وقد تناولتها بالتحليل والنقد عند تعليقي ونقدي لمحاولة الشيخ أمين الخولي لإلغاء التقسيم الثلاثي.

وفي ختام التعليق على هذه المحاولة أستطيع أن أقول: إن التعليقات والآراء التي طرحها الدكتور مطلوب بعضها جيد وجدير بالعناية والمتابعة ، لكنها كغيرها ظلت حبيسة مقتصرة على الجانب النظري ، ومفتقدة للجانب التطبيقي ؛ فلم يستطع أحد اختبارها والكشف عن جدواها ومقدار أثرها في تجديد وتطوير البلاغة العربية.

منهج الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي والدكتور عبد العزيز شرف

اشترك الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي والدكتور عبد العزيز شرف في تأليف كتاب : البلاغة العربية بين التقليد والتجديد ، تناولا فيه نشأة البلاغة وتطورها حتى العصر الحديث ، وذكرا في خاتمته رؤية جديدة لتدريس البلاغة العربية تتلخص في " وجوب تغيير البلاغة العربية تغييرا كاملًا شاملًا كما هو واضح في النقاط الآتية :

١- (أ) يحذف ما يُسمى علم المعاني والبديع ويحل محلهما (فن الأسلوب) ، على أن تكون موضوعات بحث هذا العلم هي: صور التعبير البلاغي، بلاغة الإيجاز ، بلاغة الإطناب ، بلاغة القصر ، قوة الأسلوب وعذوبته ، أسلوب الالتفات ، أسلوب التجريد ، الأسلوب الحكيم ، أسلوب الخبر ، أسلوب الإنشاء ، أسلوب التكرير ، الذوق البلاغي وأثره في الأسلوب ، الإسناد إلى الفاعل وغيره ، بلاغة الإسناد العقلي ، ثقافة الكاتب والأسلوب ، الطبع والصنعة ، ويدخل في الصنعة بعض الصور التي هي مباحث ما نسميه بعلم البديع.

(ب) يحذف ما يسميه علم البيان ، ويحل محله (فن الخيال البياني) أو (الصور البيانية) ويشتمل هذا الفن على ما يلي:

الحقيقة والخيال:

الخيال في التشبيه، الخيال في الكناية ، الخيال في الاستعارة ، الخيال في حسن التعليل، الفكرة الفلسفية والتعبير ، الخيال والمبالغة ، صور الخيال في البيان العربي ، التجديد في الخيال.

وإن أردنا اسما قديما لهذا الفن، فما أحرانا أن نطلق عليه: (فن المعاني) بدلا من فن البيان ، ونطلق على الفن السابق وهو فن الأسلوب اسم: (فن البيان).

(جـ) يحذف من البلاغة كل ما يتصل بالنحو العربي مثل: مباحث المسند والمسند إليه.

(د) يحذف منها كل مايتصل بالمنطق والفلسفة.

(هـ) تُختار أمثلة جديدة لشتى بحوث البلاغة من ناصع الأدب العربي وبليغه في مختلف العصور وبخاصة مما يحفظه الطلاب من نصوص أدبية على أن توجد هذه النصوص في مختلف المدارس والمعاهد في العالم العربي للفرق المتساوية.

٢- ينشأ درس للنقد البلاغي يدرس فيه شخصية الأديب وسمات أدبه، وخصائصه الأسلوبية ، وتجديده البياني ، ومدى ما يشتمل عليه أدب الأديب من عاطفة وصدق وإثارة ، ومدى ما وصل إليه الأديب من تجديد في فنه البلاغي"[١] .

هذا هو المنهج الذي اقترحه المؤلفان وظنا أنه كفيل "بأن يخطط للبلاغة العربية طريقها الجديد المأمون العثار، في ضوء متغيرات العصر ، وتجديدات الفكر الراهن ، وثورة الاتصال بالجماهير التي تجعل من العالم أشبه ما يكون بقرية إليكترونية صغيرة ، حيث بلغ التواصل الإنساني أقصى مداه ، الأمر الذي يقتضي ضرورة البحث عن بلاغة جديدة ، تُعبر عن هذا العصر بكل ألوانه ومتغيراته... كما يتوقع المؤلفان أن الشباب المعاصرين سوف يفهمون على ضوء هذا المنهج البلاغة العربية فهمًا أعمق ، ينبع من الأصالة والمعاصرة والرغبة في التجديد والتعبير عن مقتضيات التطور نحو بلاغة جديدة"[٢].

---

(١) البلاغة العربية بين التقليد والتجديد: د/ محمد عبد المنعم خفاجي ود/عبد العزيز شرف: ١٨٢ دار الجيل ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

(٢) المرجع السابق:١٨٦.

تحليل ونقد منهج الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي والدكتور عبد العزيز شرف:

ذكرت فيما سبق المنهج الذي اقترحه الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي والدكتور عبد العزيز شرف لتدريس البلاغة العربية من أجل الوصول إلى بلاغة جديدة تواكب العصر وتساير النهضة الحديثة كما يزعمان ، ولا أخفيك سرًا أنني قد شعرت بقلق كبير على مستقبل البلاغة العربية إن لقى هذا المنهج قبولًا ورواجًا ودخل حيز التنفيذ ؛ لما فيه من مغالطات كبيرة ، وخلط كبير بين العلوم والفنون، وبيان ذلك فيما يأتي:

- طالب الأستاذان خفاجي وشرف بحذف أسماء العلوم الثلاثة: المعاني والبيان والبديع ، ودمج المعاني والبديع في فن واحد يُطلق عليه (فن الأسلوب) ، وإطلاق (فن الخيال البياني) أو(الصور البيانية) على علم البيان ، وهو أمر قد يقبله البعض ، أما أن يقترحا إطلاق (فن المعاني) على فن البيان ، وتسمية فن الأسلوب الذي يضم عندهما علمي المعاني والبديع باسم (فن البيان) فهو أمر مدهش وغير متوقع؛ لأنه إذا تم هذا الأمر فستفقد علوم البلاغة تمايزها ويقع الدارسون في تشويش كبير وحيرة وغموض.
- يؤخذ على هذا المنهج عدم استيعابه لأبواب أساسية في البلاغة العربية كالمجاز المرسل على سبيل المثال، فلم نجد له ذكرًا ضمن فنون الخيال البياني أو الصور البيانية ، مع أنه أحد الأركان الأساسية التي يقوم عليها علم البيان.
- المطالبة بحذف كل ما يتصل بالنحو العربي من مباحث البلاغة مثل: مباحث المسند والمسند إليه دعوة غريبة وغير متوقعة من مثل هذين العَلَمين الكبيرين، لأنهما يعلمان جيدًا أن كثيرا من مصطلحات البلاغة وإن كانت ضاربة بجذورها في النحو العربي كالتعريف والتنكير، والتقديم والتأخير، والحصر والاستثناء، والاستفهام والإسناد

الخبري وغير ذلك – لكنها في البحث البلاغي ترتقي وتتجاوز النظرة الظاهرية للتركيب اللغوي ومكوناته ؛ لتحاول الكشف عما وراء ذلك من دلالات وأسرار بلاغية.

لكن الأعجب من ذلك أنهما بعدما طالبا بحذف مباحث المسند والمسند إليه أدرجا في منهجهما المقترح للتطوير مبحثي الإسناد إلى الفاعل وغيره ، وبلاغة الإسناد العقلي ، وإنني أتساءل مشدوها؟! كيف يتم تدريس هذين المبحثين دون الحديث عن الإسناد وبيان أحوال المسند والمسند إليه ولو بإيجاز، أتناسيا مطلبهما ، أم توهما أنه لا علاقة بين الأمرين ، وعلى كلٍ فهو أمر محير ومطلب متناقض.

- من الأمور الواضحة في هذا المقترح حرص صاحبيه الشديد على رفض علمية البلاغة وتأكيد فنيتها ، فتجدهما يقولان مثلا: يحذف ما نسميه علم المعاني والبديع ويحل محلهما (فن الأسلوب)، ويحذف ما يسميه علم البيان ، ويحل محله (فن الخيال البياني) مع أنه لا يوجد تناقض بين فنية البلاغة وعلميتها؛ لأن البلاغة (فن الصنعة)، وكل ما يأتي من وراء الصنعة لا بد أن يحتكم لتدبير مسبق ، فالتعقل والمنهجية يكونان صاحبي السيادة المطلقة فيه[1]، فضلا عن أن العلمية أصبحت صاحبة السيادة في عالمنا المعاصر، وأصبح المنهج العلمي مساويا لحقيقة نهوض أي مجتمع ، وذلك يدعونا إلى مزيد اعتزاز بالجهد الذي بذله البلاغيون القدماء في تحويل البلاغة إلى علم مكتمل الأصول والفروع.

(١) ينظر: البلاغة العربية قراءة أخرى للدكتور: محمد عبد المطلب: ٣:١ الشركة المصرية العالمية للنشر – لونجمان– الطبعة الأولى: ١٩٩٧م .

وختاما أقول: مع كثرة محاولات التجديد في العصر الحديث وتعدد مذاهبها إلا أننا لم نقف على دعوة نمت واستحوذت على المنهج الذي استقر على يد الخطيب القزويني ، ومازلنا ندرس البلاغة العربية من خلال المفتاح وشروحه وتلخيصاته ، ولعل السبب الرئيس في ذلك هي أن تلك المحاولات الكثيرة قد انفصلت كلية عن الغاية التي نشأت من أجلها البلاغة العربية ، وهي خدمة قضية الإعجاز القرآني ، ودارت خارج الفلك الذي تسبح فيه ثقافتنا العربية والإسلامية ، فبعدت وصارت في تباعد مستمر.

ولا زالت الطريقة المتعارف عليها لدراسة البلاغة العربية من خلال التقسيم الثلاثي هي أفضل الطرق لدراسة النص الأدبي ، وقد شهد بذلك كثير من مروجي النظريات الأدبية الحديثة ، فهذا صلاح فضل يقول :" ربما تبدو البلاغة في بعض الأحيان ساذجة في نزعتها التقعيدية الصارمة ، لكنها بالرغم من ذلك من أحق العلوم القديمة بتسمية العلم ؛ فبقدر اتساع ملاحظاتها ودقة تحاليلها وتعاريفها ، وقوة تصنيفها وخضوعها للمنطق ، بقدر ما تمثل دراسة منظمة لوسائل اللغة التعبيرية"[1].

وقد دافع العقاد بضراوة عن البلاغة العربية بتقسيم علومها وقواعدها ، وأنكر على من اتهمها بالجمود وعدم مواكبة العصر في مقال له بجريدة الأخبار، حيث قال: " لا بد أن نفهم أن علوم البلاغة الثلاثة: المعاني والبيان والبديع لم تُوضع لتُلغَي أو يُصرَف النظر عنها في الدراسة أو المطالعة ؛ لأنها خلاصة الملاحظات التي أدركها النقّـــاد بالذوق والفهم ، واهتـــدوا بها الى مواضع البلاغة فيما وعوه من كلام الشعـــراء والكتاب ، ولقد وضعها الأقدمون وأدركوا من شأنها كل ما يدركه المحدثون الآن من فوائدها ومآخذها بل أدركوا منها – على التحقيق – فوق ما يدركه المتحذلقون الذين يجهلون

(١) علم الأسلوب مبادئة وإجراءاته: د/ صلاح فضل :١٧٧- دار الشروق، الطبعة الأولى : ١٩٩٨م.

البلاغة قواعد ومصطلحات ، كما يجهلونها معاني ومفهومات ، فالعلوم التي عرفت باسم علوم البديع والمعاني والبيان صحيحة لا عيب فيها ، وكل ما يؤخذ عليها فإنما يؤخذ على إساءة استعمالها كما ينبغي لها ، وكما أرادها واضعوها ، وطالب بضرورة أن تدرس نصوص الأدب في مدارسنا على قواعد البلاغة ولكن باعتبار البلاغة ذوقا ومفهوما وليست قواعد مقررة وقوالب محفوظة كتلك التي حفظت بمصطلحاتها وجمعت في علوم عرفت باسمائها وهي البديع والمعاني والبيان(١).

فالعقاد يؤكد على أن البلاغة العربية بتقسيم علومها وقواعدها لا فساد فيها ، إنما العلة في طريقة تدريسها في قوالب جافة دون محاولة للكشف عن حقيقتها الصافية الوضاحة والبوح عن وظيفتها الإبداعية ، كما يري ضرورة التصدي لتلك الأصوات التي ترتفع حينا بعد حين بالهجوم على البلاغة العربية التراثية.

والعجب العجاب أن كل المهاجمين للبلاغة العربية والمروجين للنظريات الغربية إذا قاموا بأي دراسة تحليلية لأي نص أدبي لا يجدون ما يسعفهم إلا تلك الفنون البلاغية القديمة من تشبيه واستعارة وكناية ، ومن تقديم وتأخير، وحذف وذكر، وتعريف وتنكير، ومن سجع وجناس وطباق ، وربما كانت الإضافة الوحيدة التي نلاحظها هو إطلاق مسميات جديدة توهم بالحداثة على تلك الفنون القديمة كالانحراف والانتهاك والانزياح.

❁❁❁❁❁

(١) ينظر: مقال العقاد في جريدة الأخبار الصادر يوم ١٤ من رمضان ١٣٨٣هـ الموافق ٢٩ من يناير ١٩٦٤م.

الخاتمة

(نسأل اللّه حسنها)

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، له الحمد والشكر إذ منَّ علي وأعانني على إتمام هذه الدراسة ، ولا شك أنه لا يمكن الإشارة في هذا المقام إلى كل ما توصلت إليه من نتائج ؛ لذا سأشير إلى أهمها في النقاط الآتية:

١- أغلب المحاولات التي سعت نحو تجديد البلاغة العربية وتطويرها وحرصت على القضاء على التقسيم الثلاثي لعلومها لم تضع نصب أعينها الهدف الذي نشات البلاغة من أجله ونمت وازدهرت في رحابه، وهو البحث عن أسرار إعجاز القرآن الكريم ، ومن هنا كان الإعراض عنها ، فلم يُكتب لها الذيوع والانتشار؛ لأنها لم تجعل القرآن أساسا لها في مسيرة التطوير والتجديد، وظلت تلك المحاولات نائية خارج الإطار الذي تدور فيه ثقافتنا العربية والإسلامية ، فإذا رمنا بعثًا وإحياًء للبلاغة في العصر الحاضر فلا بد من صلتها بالنبع القرآني الفيَّاض ، فمنه خرجت علوم البلاغة وإليه تعود.

٢- ابتعدت أغلب المناهج المستحدثة عن كتاب مفتاح العلوم وفارقته بالكلية، ومن حاول الانطلاق للتجديد من خلاله لم يقرأه قراءة كاملة، وإنما اقتصر على قراءة الجزء الثالث منه الخاص بالبلاغة ، كما اقتصرت هذه المحاولات – على ندرتها – في فهمه على شروحه وتلخيصاته ، ولا شك أن في ثنايا هذه الشروح والتلخيصات دررًا وفوائد لا حصر لها في إثراء بلاغتنا العربية ، لكن الأهم من ذلك كله هو أن نهدأ قليلًا ، ونبتعد عن انتقاد التقسيم الثلاثي: المعاني والبيان والبديع ، ونتنبه لمراد السكاكي ومقصوده الأعظم من كتابه ، وهو التقسيم الثلاثي الأكبر: الصرف والنحو والبلاغة ، ونفطن لمحاولته تأسيس نظريته الكبرى ومشروعه الأعظم : (علم الأدب) ، فيجب أن نعيد قراءة المفتاح وغيره من كتب التراث قراءة جديدة تطمح إلى

التأصيل والتطوير ، تلك هي القراءة المثمرة لإحياء العربية ، لا البلاغة وحدها.

٣- ما أُشِيعَ حول اتهام البلاغة العربية بتقسيمها الثلاثي بأنها ضيقة الأفق ، قاصرة النظرة على الجملة والشاهد والمثال فحسب ، ولا تملك من الآليات والأدوات ما يُمَكِّنها من النظرة الكلية للنص والقطعة الأدبية كاملة ، تهمة زائفة وإدعاء غير واقعي ؛ لأن واقع الدرس البلاغي يشهد بغير ذلك ، فالنظرة العامة للنص كانت ظاهرة في كتابات كثير من قدامى البلاغيين والنقاد ، واشتهرت المصطلحات الدالة على ذلك نحو : الانسجام، والالتحام، والتلاؤم ، والسبك ، وغيرها ، كما أن تراثنا حافل بالمصنفات التي تتسم بالنظرة الكلية والعناية بما فوق الفقرة والنص كما في علم المناسبات القرآنية ، فجُلُّ ما صُنِفَ فيه معنيٌّ ببيان العلاقة بين السور، وتناسب المطالع والمقاصد ، والمطالع والخواتيم، وكذا المصنفات التي عُنيت بالمتشابه اللفظي في القرآن الكريم، وغير ذلك... كل ذلك يؤكد على تهافت هذا الادعاء وسقوطه، ويشدد في الوقت نفسه على ضرورة توثيق صلة البلاغة بالقرآن الكريم ، فهو السبب الأساسي في رقيها وازدهارها، وسيظل هذا الشأن إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

٤- اتسمت كل محاولات التجديد بالفردية وعدم التواصل، فلم أرصد سوى محاولات فردية أغلبها قائم على إعادة وتكرار مقولات ومقترحات الشيخ أمين الخولي وغيره من الأئمة المجددين، الأمر الذي ألغى التواصل والتعاون المثمر البنَّاء.

٥- يظل التقسيم الثلاثي- بالرغم مما وُجِهَ له من انتقادات- أفضل الطرق لتعليم البلاغة ، وأكثرها ملائمة لتحليل النصوص ، لكنه يحتاج في الوقت نفسه لمزيد من الضبط والتقويم ، وخاصة في التقسيمات والفروع الداخليه ، وبيان ذلك في النقاط الآتية:

أ- ضرورة تقليل التقسيمات الداخلية قليلة الجدوى التي يشق على الدارسين تحصيلها واستيعابها ؛ وهي شكوى قديمة أثارها كثير من البلاغيين – حتى ممن اتبع نهج السكاكي والقزويني- ، فقد انتقد التفتازاني كثرة التقسيمات التي وردت في باب التشبيه في قوله: "واعلم أن أمثال هذه التقسيمات التي لا تتفرغ على أقسامها أحكام متفاوتة قليلة الجدوى ، وكأن هذا ابتهاج من السكاكي باطلاعه على اصطلاحات المتكلمين، فلله در الإمام عبد القاهر فإنه لم يزد في هذا المقام على التكثير من أمثلة أنواع التشبيهات وتحقيق اللطائف المودعة فيها"[(١)] وقال عصام الدين صاحب الأطول بعد أنْ تكلَّم عن الحواس والكيفيات والحركات: "واعلم أنَّه لَم يفِ المصنِّف بما وعَد في ديباجة الكتاب ؛ من حذف الحشو ، والتطويل والتعقيد، وسَهَا عنه في هذا المقام؛ لأنَّ هذه التقسيمات ممَّا لا نفْع له في هذا الفن ، بل يوجِب تحيُّر الأفهام، وإيقاع المبتدئين في الظلام"[(٢)].

ب- العناية بعلم البديع وإنزاله المنزلة التي تليق به ، ودحض الشبهة الجائرة الرائجة التي تدَّعي أنه لا يمس صميم البلاغة ، ولا يمثل عِلْمًا أصيلًا من علومها ، ونفي ما يشاع بين الدارسين أنه ليس له دخل فى بلاغة الأسلوب ، ولا يتوقف عليه مطابقة لمقتضيات الأحوال ، كل ذلك من خلال البحث والتطبيق والتحليل البلاغي ، فعلم البديع لا يزال ينتظر جهودًا متواصلة ودأبًا لا يكل من أجل إظهار مكانته بين علوم البلاغة.

---

(١) المطول: ٥٢٩.

(٢) الأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم:عصام الدين الحنفي: ١٥٤ ت: د عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية بيروت

جـ- الاهتمام بدراسة الكلمة المفردة من جميع مستوياتها ؛ لأنها النواة التي يتكون الكلام منها ، ولا يُغنِي في هذا المقام ما ورد في الحديث عن الفصاحة عند الخطيب القزويني ، بل لا بد من الإفادة ممن وضع هذا المبحث موضع عنايته واهتمامه كابن سنان الخفاجي وابن الأثير وغيرهما.

د- حذف مسائل الفلسفة والمنطق وأساليب المتكلمين والمجادلات النظرية التي لا طائل من ورائها ، وإبدالها بما يعيد للبلاغة بهاءها ورونقها.

هـ - الإكثار من الشواهد الأدبية والاهتمام بتنويعها، وتحليلها وفق المنهجين: الفني والعلمي معا ، حيث البحث عن الذوق والجمال الذي يسري في الأساليب ، مع الاهتمام بالقاعدة البلاغية المقررة.

و- توحيد المصطلحات المتعددة الدالة على فن بلاغي واحد ، والأخذ بأكثرها شهرة ودلالة ، حتى لا يقع الدارسون في حيرة واضطراب، وعنت وإرهاق.

٦- نحن لسنا في حاجة إلى تجديد يُقصي التراث ويبحث عن النقائص والعيوب التي وقعت فيها البلاغة منذ عهد السكاكي، ويُحدِث تغييرًا كليًا لعلم البلاغة وأبوابه ومباحثه ؛ لكي يتلاءم مع متطلبات المتعلمين في العصر الحديث ، لكننا في أمس الحاجة إلى تطوير طرق التعليم ووسائله، وتأهيل المعلمين تربويًا وعلميًا وتدريبهم على استعمال الوسائل الحديثة كالحاسوب وغيره حتى يتم التطوير والتجديد الحق ، وتبلغ البلاغة أهدافها، وتحقق أغراضها.

وفي الختام لا أدعي أنني قد بلغت الغاية ، ووصلت إلى النهاية ، فذلك أمر عظيم لا يبلغه أحد ، وخاصة إذا كان مثلي قليل البضاعة ضعيف الصناعة ، ولكنها خطوة على الطريق أرجو أن يجد القارئ فيها أي بريق ، وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يعصمني من فساد القصد ، وضلال الرأي ، وأن

يوفقني للصواب ، ويحفظني مما يُذّم ويعاب ، وأن يلهمني الحكمة وفصل الخطاب ، وأن يقيل عثرتي يوم الحساب ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

الدكتور

محمد عبد الفتاح إبراهيم النجار

مدرس البلاغة والنقد في كلية اللغة العربية بإيتاي البارود جامعة الأزهر

المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم.**

١- الاتجاهات الأسلوبية في النقد العربي الحديث – د: إبراهيم عبد الجواد– طبعة عمان الأردن– الطبعة الأولى:١٩٩٧م.

٢- أسرار البلاغة – عبد القاهر الجرجاني– ت: محمود محمد شاكر– مطبعة المدني بالقاهرة ، دار المدني بجدة– ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م.

٣- الأسلوب: أحمد الشايب – مكتبة النهضة المصرية– الطبعة: الثانية عشرة ٢٠٠٣م.

٤- إصلاح غلط أبي عبيد في غريب الحديث – ابن قتيبة الدينوري– ت: عبد الله الجبوري – دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان – الطبعة: الأولى، ١٤٠٣ هـ – ١٩٨٣ م.

٥- الأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم– عصام الدين الحنفي – ت: د عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية بيروت.

٦- – الإيضاح في علوم البلاغة – الخطيب القزويني – تحقيق وشرح د محمد عبد المنعم خفاجي – دار الجيل ، بيروت ، ١٩٩٣م.

٧- – البلاغة تطور وتاريخ – د: شوقي ضيف ، دار المعارف ، مصر الطبعة الثانية (بدون تاريخ)

٨- البلاغة العربية بين التقليد والتجديد– د: محمد عبد المنعم خفاجي ود:عبد العزيز شرف: دار الجيل ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م.

٩- البلاغة العربية قراءة أخرى – د : محمد عبد المطلب – الشركة المصرية العالمية للنشر – لونجمان– الطبعة الأولى: ١٩٩٧م .

١٠- البلاغة عند السكاكي– د: أحمد مطلوب– منشورات مكتبة النهضة بغداد، بمساعدة جامعة بغداد– الطبعة الأولى: ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤م.

١١- البلاغة والأسلوبية – د: محمد عبد المطلب ، مكتبة لبنان ، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، مصر ، الطبعة الأولى: ١٩٩٤م.
١٢- البيان العربي- د: بدوي طبانة – مكتبة الأنجلو المصرية- الطبعة الثانية ١٩٨٥م.
١٣- تاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها- د:أحمد مصطفى المراغى- مطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٣٦٩ هـ - ١٩٥٠م.
١٤- دلائل الإعجاز – عبد القاهر الجرجاني: ت: محمود محمد شاكر أبو فهر: مطبعة المدني بالقاهرة – دار المدني بجدة- الطبعة: الثالثة ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
١٥- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة – ابن بسام الشنتريني: ت:إحسان عباس – الدار العربية للكتاب، ليبيا – تونس- الطبعة الأولى: ١٩٧٨
١٦- زاد المعاد فى هدى خير العباد – ابن قيم الجوزية – راجعه: طه عبد الرؤوف، مطبعة مصطفى الحلبى ١٣٩٠هـ .١٩٧٠م.
١٧- شروح التلخيص: مختصر سعد الدين التفتازاني، ومواهب الفتاح لابن يعقوب المغربي ، وعروس الأفراح لبهاء الدين السبكي- دار الكتب العلمية بيروت، لبنان.
١٨- الشعر والشعراء- ابن قتيبة الدينوري: دار الحديث ، القاهرة : ١٤٧٣هـ.
١٩- الصناعتين- أبو هلال العسكري – ت: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم- المكتبة العصرية بيروت: ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.
٢٠- علم الأسلوب مبادئة وإجراءاته : د/ صلاح فضل – دار الشروق، الطبعة الأولى : ١٩٩٨م.

٢١- فن القول: أمين الخولي: مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة ١٩٩٦م.
٢٢- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي ، والتفسير بحاشيتة : الانتصاف فيما تضمنه الكشاف لابن المنير الإسكندري ، وخرج الأحاديث الواردة فيه :الإمام الزيلعى - دار الكتاب العربي – بيروت – الطبعة: الثالثة – ١٤٠٧ هـ .
٢٣- اللغة والإبداع مبادئ علم الأسلوب العربي- د: شكري عياد الطبعة الأولى ١٩٨٨م.
٢٤- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: نصر الله بن محمد الشيباني الجزري المعروف بابن الأثير – ت: محمد محي الدين عبد الحميد - المكتبة العصرية للطباعة والنشر – بيروت :١٤٢٠ هـ.
٢٥- المدخل إلى دراسة البلاغة – د : فتحي فريد: مكتبة النهضة المصرية ١٩٧٨م.
٢٦- مدخل إلى علم الأسلوب: د: شكري عياد – المشروع للطباعة: ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م.
٢٧- المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم: سعد الدين التفتازاني – ت: د/ عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة: ٢٠١٥م.
٢٨- مفتاح العلوم- أبو يعقوب يوسف السكاكي- ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه : نعيم زرزور – دار الكتب العلمية بيروت- لبنان – الطبعة الثانية: ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.
٢٩- مناهج بلاغية : د أحمد مطلوب- المجمع العلمي العراقي ، بغداد ، ١٤٧١هـ – ١٩٩٦م.

٣٠- مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب: أمين الخولي دار المعرفة ، الطبعة الاولى ١٩٦١م.
٣١- النظرية البنائية في النقد الأدبي: د- صلاح فضل- دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد، الطبعة الثالثة: ١٩٨٧م.
٣٢- نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز - فخر الدين الرازي- ت: نصر الله أوغلي، دار صادر بيروت- الطبعة الأولى :١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.

- **المجلات والدوريات**

١- جريدة الأخبار بتاريخ : ١٤ من رمضان ١٣٨٣هـ الموافق: ٢٩ من يناير ١٩٦٤م.
٢- مجلة الآداب بالعراق- بغداد - العدد الخامس: عام ١٩٦٢م.
٣- مجلة الرسالة - العدد: ٧٠٣ بتاريخ: ٢٣ / ١٢ / ١٩٤٦م.
٤- مجلة المجمع العلمي ،ج١، مجلد٥٦، بغداد ٢٠٠٩.
٥- مجلة مجمع اللغة العربية الأردني- العدد الأول ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.

الفهرس

الموضوع	رقم الصفحة
المقدمة	١٠٩
المبحث الأول: بين يدي التقسيم الثلاثي	١١٣
المبحث الثاني: محاولات التجديد عرض وتحليل ونقد	١٢٣
منهج الشيخ أمين الخولي	١٢٤
منهج وزارة المعارف عام ١٩٣٨م	١٣٤
منهج الأستاذ أحمد الشايب	١٣٧
منهج الدكتور أحمد مصطفى المراغي	١٤٦
منهج الدكتور أحمد مطلوب	١٥٢
منهج الدكتور محمد عبد المنعم حفاجي والدكتور عبد العزيز شرف	١٦٠
الخاتمة	١٦٦
المصادر والمراجع	١٧١
فهرس الموضوعات	١٧٥